في «حَرْبٍ» تَمْضي قُدُمًا
وأوْزارٍ لها تُسْتَوْضَعُ تَـتْرى

أم للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

Schweizerische Eidgenossenschaft
Confédération suisse
Confederazione Svizzera
Confederaziun svizra

Embassy of Switzerland in Lebanon

صفحة بيضاء في الأصل

في «حَرْبٍ» تَمْضي قُدُمًا وأوْزارٍ لها تُسْتَوْضَعُ تَـتْرى

مَعانٍ تَـتَـبَّـعَها وحَرَّرَها

سعيد الجِنّ

أمم
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

Schweizerische Eidgenossenschaft
Confédération suisse
Confederazione Svizzera
Confederaziun svizra

Embassy of Switzerland in Lebanon

شباط ٢٠١٧

هاتف: ٠١\٥٥٣٦٠٤ | صندوق بريد: ٥\٢٥ الغبيري ـ بيروت
www.umam-dr.org | info@umam-dr.org

كانْ إنْجازُ هذه المَطْبوعَةِ، على يَدِ أُمم للتَّوثيق والأبحاث، في إطارِ البَرْنامَجِ المُعَنْون **السَّلامُ عَلَيْكُم ـ نِزاعاتُ لُبنانَ في مُحاوَلاتِ إنْهائِها**، بِدَعْمٍ مَشْكورٍ من السِّفارَةِ السّويسريَّة في بيروت. على أنَّه، فإنَّ المَسْؤولِيَّةَ عن الآراءِ والمَواقِفِ الواردَةِ في هذه المَطْبوعةِ تَقَعُ، حَصْرًا، على أُمم للتَّوثيق والأبحاث.

Schweizerische Eidgenossenschaft
Confédération suisse
Confederazione Svizzera
Confederaziun svizra

Embassy of Switzerland in Lebanon

عَنْ تَوْضيحٍ لا بُدَّ مِنْهُ
ومُسَوَّدَةٍ لا تَنْشُدُ التَّبْييضَ...

على الصَّفْحَةِ المُقابِلَةِ، ذاتِ اليَمين، بَيانٌ مَفادُهُ أنَّ هذه المَطْبوعَةَ أُنْجِزَتْ في إطارِ بَرْنامَجٍ مُعَنْوَنٍ **السَّلامُ عَلَيْكُم ـ نِزاعاتُ لُبنانَ في مُحاوَلاتِ إنْهائِها** اضْطَلَعَتْ بِتَنْفيذِه أُمَم للتَّوْثيق والأبْحاث، بَيْنَ خَريفِ ٢٠١٥ وأواخِرِ ٢٠١٦، بِدَعْمٍ مَشْكورٍ مِنَ السِّفارَةِ السّويسريَّةِ في بيروت. وإذْ يَكْفي هذا التَّنْويهُ لكي تَعْرِفَ أُمَمُ فَضْلَ الجِهَةِ المانِحَةِ، فهو لا يُلِمُّ بالمُكَوِّناتِ التي تألَّفَ مِنْها هذا البَرْنامَجُ، وبِمَحَلِّ هذهِ المَطْبوعَةِ مِنْها، ومِنْ ثَمَّ يَقْتَضي التَّوْضيح...

أمّا المُكَوِّناتُ التي تألَّفَ مِنْها هذا البَرْنامَجُ فلا تَخْرُجُ، في واقِعِ الحال، عمّا تَألَّفَتْ مِنْهُ بَرامِجُ أُخرى حَمَلَتْ تَوْقيعَ أُمَم للتَّوثيق والأبحاث. عَلَيْهِ، فَقِوامُ **السَّلامُ عَلَيْكُم ـ نِزاعاتُ لُبنانَ في مُحاوَلاتِ إنْهائِها** مُكَوِّنٌ تَوْثيقيٌّ أغْنى قاعِدَةَ البَياناتِ الإلكترونيَّةَ المَفْتوحَةَ **ديوان الذّاكِرَة اللبنانيَّة**(*) بِبابٍ جَديدٍ وبِمِئاتٍ مِنَ الوثائِقِ ذاتِ الصِّلَةِ بالمَوْضوع، ومِن مُكَوِّنٍ حِوارِيٍّ تَمَثَّلَ بِعَدَدٍ مِنَ اللقاءاتِ التي جَمَعَت، في مُخْتَلِفِ المَناطِقِ اللبنانيَّةِ، شَبابًا جامِعِيِّين، تَداوَلوا، وتَساجَلوا أحْيانًا، في نِزاعاتِ لُبنانَ ماضِيًا وَحاضِرًا، ومِنْ مُؤتَمَرٍ خِتامِيٍّ جامِعٍ عَرَضَ لما انْتَهَيْنا إلَيْهِ مِنْ مُلاحَظاتٍ وخُلاصاتٍ خِلالَ تَنْفيذِ هذا البَرْنامَج، واسْتَضافَ ثُلَّةً مِنْ أهْلِ السِّياسَةِ والإعْلامِ والأكاديميا، مِنْ أجْيالٍ عِدَّة، لِتَبادُلِ الرَّأي، تَوْصيلاً

(*) www.memoryatwork.org

لأوْصالِ النِّقاشِ في السِّلْمِ والحَرْبِ اللبنانِيَّيْن، في الماضي والحاضِر، واسْتِشْرافًا، ما أمْكَنَ، لِلْمُسْتَقْبِل.

أمّا المُكَوِّنُ الأخيرُ مِنْ مُكَوِّناتِ **السَّلامُ عَلَيْكُم ـ نِزاعاتُ لُبنانَ في مُحاوَلاتِ إنْهائِها** فهذا البَحْثُ المُتَواضِعُ الذي سعى، مُسْتَفيدًا مِنَ المُكَوِّنِ التَّوْثيقي، إلى السِّياحَةِ بين عَدَدٍ مِنْ أبْرَزِ المَحَطّاتِ السِّلْمِيَّةِ التي تَخَلَّلَت التّاريخَ اللبنانيَّ مِنْ ١٩٧٥ إلى يَوْمِنا هذا، وإلى التَّمَلّي مِنْها وتَسَقُّطِ ما تَخْتَلِفُ فيه وما تَتَشابَه.

يَصِفُ هذا البَحْثُ نَفْسَهُ بالمُسَوَّدَةِ، ويَزيدُ بأنَّ هذه المُسَوَّدَةَ لا تَنْشُدُ التَّبْييضَ، ورَجاءُ أُمم للتَّوثيق والأبحاث أن يُحْمَلَ هذا الوَصْفُ على مَعْناهُ الحَرْفِيِّ لاعْتِبارَيْن اثنين: أوَّلٍ هو أنَّ التَّصَدّيَ لِمَسْأَلَةِ السَّلامِ وإحْلالِه لا تَعْدُ ما نَشَطَتْ لَهُ أُمَم، تَحْتَ عَناوينَ شَتّى، مُنْذُ أنْ نَشَأت؛ وثانٍ هو أنَّ اسْتِكْمالَ هذا البَحْثِ، مِنْ مَداخِلَ أخْرى غَيْرِ هذه التي تَعْرِضُ لها الصَّفَحاتُ التّالِيَةُ، بَنْدٌ مُقيمٌ على جَدْوَلِ أعْمالِنا. أمّا إنْ أصَرَّ مِنْ أحَدٍ على أنْ يَحْمِلَ قَوْلَنا بأنَّ هذه المُسَوَّدَةَ لا تَنْشُدُ التَّبْييضَ على مَحْمَلِ المَجاز، فلا بَأسَ بذلك أيْضًا؛ أليس أنَّهُ: «لا يَكْتُبُ أحَدٌ كِتابًا في يَوْمِهِ إلّا قالَ في غَدِهِ: لَوْ غُيِّرَ هذا لَكانَ أحْسَنَ، ولو زيدَ هذا لكان يُسْتَحَسَنُ، ولو قُدِّمَ هذا لكانَ أفْضَلُ، ولو تُرِكَ هذا لَكانَ أجْمَل»؟

أمم للتَّوْثيق والأبْحاث

«وٱلمَعاني مَطْروحَةٌ في الطَّريق...».

الجاحظ، **الحَيَوان**،
تحقيق عبدالسَّلام هارون، الجزء الثّالث، صفحة ١٣١.

صفحة بيضاء في الأصل

I

لـم تَكَـدْ تَمْضـي سِـوى سـاعاتٍ قَليلَـةٍ علـى مَقْتَلَــةِ عَيْــنِ الرّمّانــة، (١٣ نيســان ١٩٧٥)، حتّــى حَطَّــتْ فــي مَطــارِ بَيْــروتَ طائِــرَةٌ تُقِـلُّ محمـود ريـاض، الأميـنَ العـامَّ، آنـذاك، لِجامِعَـةِ الـدُّوَلِ العَرَبِيَّـةِ. أمّـا داعِيَـةُ ريـاض إلــى هــذهِ الزِّيــارَةِ التــي لَــمْ تَكُــنْ علــى جَــدْوَلِ اسْــتِقْبالاتِ المَسْــؤولينَ اللبنانيّيــنَ، فـ«القِيـامُ ـ علـى مـا كَتَـبَتْ إحْـدى الصُّحُفِ اللبنانيَّــةِ فــي صَــدْرِ صَفْحَتِهــا الأُولــى ـ بِمَســاعٍ لِوَضْــعِ حَــدٍّ للحَــوادِثِ الدّاخِلِيَّــةِ التــي وقَعَــتْ فــي لبنــان»[1].

(١) **النَّهار**، ١٥ نيسان ١٩٧٥.

صَحيــحٌ أنَّ اليَوْمِيّاتِ اللبنانِــيَّةَ، على امْتِدادِ الأشْــهُرِ والسَّنَواتِ السّــابِقَةِ على ١٣ نيسان، حَفَلَــتْ بمــا لا تُخْطِئُــهُ العَيْــنُ مِــنْ نُذُرٍ

يُشْـــتَمُّ مِنْها أنَّ الآتِـــيَ أعْظَـــمُ، وصَحيحٌ أنَّ مِنْ حَـــقِّ العَديدينَ أنْ يُضافَ إلـــى مُلَخَّصِ سِـــيَرِهِم، وإلى سِـــجِلِّ مآثِرِهِم، أنَّهُم «أبْصَروا الشَّـــعْرَةَ البَيْضاءَ في اللَّبَـــنِ»، وأنَّهُم خاطَبوا اللبنانِيّينَ بِخِطابِ زَرْقـــاءِ اليَمامَةِ: «إنِّي أرى الشَّـــجَرَ قَدْ أقْبَلَ إلَيْكُم»، وَنَصَحـــوا لَهُم بأنْ: خُذوا حِذْرَكُمْ يا قَوْمُ يَنْفَعْكُمْ

فَلَيْـــسَ ما قَدْ أرى مِلْ أمْـــرِ يُحْتَقَرُ فلم يُسْـــمَعْ مِنْهُم أو سُـــمِعَ، ووُعِيَ، (ولكنَّ الأمْـــرَ كانَ قَـــدْ قُضِـــيَ، والقَلَمَ قَـــدْ رُفِع)، وصَحيحٌ أيْضًا أنَّ لُبنـــانَ، تَكْوينيًّا، كانَ الأدْنى، مِنْ بَيْـــنِ دُوَلِ المِنْطَقَةِ، إلـــى أنْ يَتَحَوَّلَ مَعَ انْهِـــزامِ مُنَظَّمَةِ التَّحْريـــرِ الفِلَسْـــطينيَّةِ مِنَ الأُرْدُن إلـــى مُعْتَصَـــمٍ لهـــذه المُنَظَّمَةِ وإلى غُرْفَـــةِ عَمَليّاتٍ عَسْـــكَرِيَّةٍ وسِياسِـــيَّةٍ لها[٢] ــ صَحيـــحٌ كُلُّ ما تَقَـــدَّمَ ولكنَّ أحَـــدًا لم يَجْرؤْ على التَّنَبُّؤِ بـــأنَّ ما يَنْتَظِرُ لُبنـــانَ هو «حَرْبٌ

(٢) غَنِيٌّ عن القَوْلِ إنَّ التَّزاحُمَ بَيْنَ السِّيادَتَيْنِ، سِيادَةِ «القَضِيَّةِ الفِلَسْطينيَّة» على ما عَداها مِنْ قَضايا ذاتِ طَبيعَةٍ «وَطَنِيَّة»، و«سِيادَةِ الجُمْهوريَّةِ اللبنانيَّة» على أراضيها، وعلى قَرارِها السِّياسِيِّ، لم يَبْدَأ بَعْدَ «أيْلول الأسْوَد» ١٩٧٠. لَقَدْ سَبَقَ هذا التَّزاحُمُ ذاك الأيْلولَ بِسَنَواتٍ بِدَليلِ أنَّ «اتِّفاقَ القاهِرَة» وُقِّعَ في ٣ تشرين الثّاني ١٩٦٩.

في مَعْرِضِ الحَديثِ عن ١٩٦٦، تَسْتَوْقِفُ فؤاد بطرس، وزيرَ الدِّفاعِ أيّامذاك، «ثَلاثَةُ أحْداثٍ بارِزَة [...]: اغْتِيالُ كامل مروَّة في السّادِسِ عَشَرَ مِنْ أيّار، ووقوعُ أوَّلِ اشْتِباكٍ مُسَلَّحٍ بَيْنَ الجَيْشِ اللُّبنانيِّ ومُسَلَّحين فِلَسْطينيِّين في الثّاني والعِشْرينَ مِنْ حزيران، وتَوَقُّفُ بنك إنترا عن الدَّفْعِ في الرّابِعِ عَشَرَ من تشرين الأوَّل [...]».

بِشَأنِ الثّاني مِنْهُما، يَرْوي بطرس: «اسْتَفاقَ لبنانُ، صَباحَ الثّالِثِ والعِشْرينَ مِنْ حزيران ١٩٦٦، مَذْهولًا على وَقْعِ هذا الخَبَر [خَبَرِ الاشْتِباك]. يَومذاكَ، تَوَجَّهْتُ إلى وِزارةِ الدِّفاع، واطَّلَعْتُ على التَّقاريرِ الواردَةِ إلَيْها مِنَ الجَنوبِ، واجْتَمَعْتُ بالمَسْؤولين وكَوَّنْتُ صورةً واضِحَةً عمّا يَجْري، وأشْرَفْتُ على صِياغَةِ بَيانٍ رَسْمِيٍّ صَدَرَ عن وِزارَةِ الدِّفاعِ شَرَحَ للرّأيِ العامِّ تَفاصيلَ ما جرى على الشَّكْلِ التّالي: "صادَفَتْ دَوْرِيَّةٌ مِنَ الجَيْشِ اللُّبناني، في السّاعَةِ الحادِيَةَ عَشْرَةَ والرُّبْعِ مِنْ لَيْلِ الثّاني والعِشْرينَ مِنْ حزيران، عَناصِرَ مُسَلَّحَةً قُرْبَ خَطِّ الهُدْنَةِ مَعَ العَدوّ. وعِنْدَما طَلَبَت الدَّوْرِيَّةُ مِنَ العَناصِرِ تَسْليمَ أنفُسِهِم إلَيْها، قامَ هَؤلاءِ بِفَتْحِ النّارِ على الدَّوْرِيَّةِ التي رَدَّتْ على مَصادِرِ النّيران. وأسْفَرَ الاشْتِباكُ عَنْ مَقْتَلِ أحَدِ المُسَلَّحين وجَرْحِ آخَرٍ لم تُعْرَفْ هُوِيّاتُهُما لأنَّهُما لم يَكونا يَحْمِلان أوْراقًا ثُبوتِيَّة. وتَمَّ ضَبْطُ بندقيَّةٍ رشّاش، وأرْبَعَةِ قَنابِلَ يدويَّةٍ، وذَخائِرَ، وخَمْسَةِ كيلوغراماتٍ مِنَ الموادِّ المُتَفَجِّرَة"».

فؤاد بطرس، **المذكّرات**، إعداد أنطوان سعد، الطَّبعة الثّانية، دار النَّهار، ٢٠٠٩، ص. ١١٣ ـ ١١٤.

أَهْلِيَّةٌ»، كامِلَـــةُ الأوْصافِ، بَلْ لَـــمْ يَجْرُؤْ مِنْ أحَدٍ، حتّـــى مِمَّنْ أجاءَتْهُـــمُ ظُروفُهُم المِهْنِيَّةُ إلـــى تَتَبُّعِ أحْوالِ لُبنانَ مِنْ كَـــثَبٍ، أنْ يَصِفَ واقِعَةَ «البوســـطة» بـ«البِدايَةِ» مِنَ الحَرْب[٣].

وبهـذا المَعْنـى فَلَيْـسَ القَـوْلُ بـأنَّ «الكَـثيرَ» آذَنَ بـ«الحَـرْبِ» بـابٌ مِـنْ أبْـوابِ المُبالَغَـةِ البَيانِيَّـةِ، أوْ مـا يَجْـري مَجْراهـا، بَـلْ حَقُّـهُ أنْ يُفْهَـمَ، فـي عِـدادِ وجـوهٍ أُخْـرى، علـى مَعْنـاهُ الحَرْفِـيِّ اللَّـصـيقِ بِمـا تتالـى خِـلالَ السَّـنَواتِ التـي سَـبَقَت ١٣ نيسـان مـن «حَـوادِثَ»، وبِما تَسـارَعَ مِنْهـا علـى عَشِـيّاتِ ذَلِـكَ اليَـوم، سَـواءٌ اصْطَنَعَـتْ هـذهِ الـ«حَـوادِثُ» هَيْئَـةَ سِـجالاتٍ كَلامِيَّـةٍ، أو مُطالَبَـاتٍ نِقابِيَّـةٍ، أو اشْـتِباكاتٍ مُسَـلَّحَةٍ، أو حتّـى «حَـوادِثَ فَرْدِيَّـة»[٤].

نَعَـــم؛ كانَ كُلُّ ذَلِكَ ثُمَّ كانَتْ تِلْكَ الأســـابيعُ التـــي تَوَّجَها اليَوْمُ المَشْـــهودُ والتـــي تَبْدو،

(٣) مِنْ تِلْكَ الشَّهاداتِ، شهادَةُ دومينيك بوديس في مُقَدِّمَةِ كِتابِهِ «مِحْنَةُ المسيحيّين اللبنانيّين». اتَّفَقَ لبوديس، على ما يَرْوي، أنَّه كانَ، نيسانَ ذاك، في بيروت، في مُهِمَّةٍ صَحَفِيَّةٍ، وَوَجَدَ نَفْسَهُ يومَ الثّالِثَ عَشَرَ مِنْهُ في صَبْرا لِتَغْطِيَةِ الاحْتِفالِ الذي كانت تُـنَظِّمُهُ «الجَبْهَةُ الشَّعْبِيَّةُ لِتحريرِ فِلَسْطين ــ القيادة العامَّة» بِمُناسَبَةِ الذِّكْرى السَّنَوِيَّةِ الأوْلى على «عَمَلِيَّة الخالِصَة».

يَخْتِمُ بوديس مُقَدِّمَتَه بالقَوْل: «يومذاك، بَدَأتْ حَرْبُ لبنان. على غَفْلَةٍ مِنّا بَدَأتْ، ولا غَرْوَ في ذلك... فَبِداياتُ الحُروبِ لا يُؤرَّخُ لها إلّا بَعْدَ أنْ يَسْبِقَ السَّيْفُ العَذْل...».

La Passion des Chrétiens du Liban, Editions France – Empire, 1979.

ومِنْها شَهادَةُ جوزيف سعادة، صاحِبِ «السَّبْت الأسْود» (٦ كانون الأوَّل ١٩٧٥):

«كانَ ١٣ نيسـان يَـوْمَ أحَـدٍ ــ يَـوْمَ أحَـدٍ مُشْمِسًـا. باكِرًا قَصَـدْتُ مَنْزِلَنـا الجَبَلِـيّ. أعْدَدْنـا غَداءَنـا مِنَ الشِّـواءِ عادَتَنـا كُلَّ أحَـد. زِدْتُنـي كأسًـا ثالِثَـةً مِـنَ العَـرَق. كان نَهـارَ أحَـدٍ هادِئًـا كَكُلِّ الآحـاد، وكُنْـتُ أسْـتَعِدُّ لَقَضائِـهِ مَـعَ لـورا والأولاد واعِـدًا نَفْسـي بِقَيْلولَـةٍ طويلَـةٍ بَعْـدَ الظُّهْـر. كُنْـتُ أجْهَـلُ أنَّ الحَـرْبَ سَـبَقَتْنا وبَـدَأت!».

أنا الضَّحِيَّة والجلّاد أنا، دار الجديد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥، ص. ٨٠ ـ ٨١.

(٤) فـي «الحَـوادِث الفَرْدِيَّـة» ومـا قـد يَتَّصِـلُ بَيْنَها وبَيْـنَ «الحَـوادِثِ الجَماعِيَّـة» من رَحِـمٍ، أُنظر البَحْثَيْـن اللذَيْن أعَدَّتْهُمـا أُمَـم للتَّوثيـق والأبْحـاث، تحـت عنـوان «مِـنَ "الحـادِث الفَـرْدِيّ" إلـى "تهديـد السِّـلْم الأهْلـي"»، وتَصَدَّتْ فيهمـا للنَّظَـرِ فـي حادِثَتَيْـنِ مَوْصوفَتَيـن بـ«الفَرْدِيَّـة»: **تأمُّلاتٌ في مَقْتَـل جورج أبو ماضي وفي مَرْويّاتِـه**، (٢٠١٠) و**كترمايـا: عـن جريمَتَيْـن وأكْثَـر ــ مُطالَعـاتٌ في كِتـابِ الفَظاعَـةِ (اللبنانيَّة) العادِيَّـة**، (٢٠١٣).

متى مـــا تَفَقَّـــدَ المَـــرْءُ تَفاصيلَهـــا، وكأنَّها تُســـابِقُ كُلَّ ما مضى لتُثْبِـــتَ بـ«الحادِثَةِ» تِلْوَ «الحادِثَةِ»، وبمـــا لا اجْتِهادَ في مَـــوْرِدِه، أنَّ لبنانَ حائِنٌ تَســـيرُ بـــه رِجْلاه.

ففي ٢٦ شـباط ١٩٧٥ سـارَتْ في بَعْضِ شَـوارِعِ صيـدا تَظاهُـرَةٌ «مَطْلَبِيَّـةٌ» انْتَهَـتْ بإطْـلاقِ نـارٍ أُصيـبَ مِـنْ جَرّائِـهِ نائِـبٌ سـابِقٌ كانَ يُشـارِكُ فيهـا، مُتَقَدِّمًـا صُفوفَهـا، إصابَـةً بالِغَـةً[٥]، وفـي اليَـوْمِ نَفْسِـهِ، صَـدَرَ بَـلاغٌ رَسْـمِيٌّ، بِتَوْقيـعِ الجَيْـشِ اللبنانـيِّ، أشـارَ فـي مَعْـرِضِ وَصْفِـهِ ما كانَ مِـنْ إطْـلاقِ نـارٍ خِلالَ تِلْـكَ التَّظاهُـرَةِ إلى «[ظُهـورِ] مُسَـلَّحينَ، بَعْضُهُـم مُـزَوَّدٌ بِقَذائِـفِ آر.بي.جـي، مُلَثَّميـنَ بكُوفِيّـاتٍ مُزَرْكَشَـةٍ علـى سُـطوحِ المَنـازِلِ»، وإلـى إطْلاقِهِـم النّـارَ علـى عَناصِـرِه[٦]. ومـا هِـيَ أنْ دَخَـلَ آذارُ حتّـى هَـدَّدَ رَئيـسُ الحُكومَـةِ أيّامَـذاك بالاسْـتِقالَةِ مِـنْ مَسْـؤولِيّاتِه مـا لـم يَنْسَـحِب الجَيْـشُ مِـنْ صَيـدا[٧]، وفـي السّـابِعِ منـهُ، فـارَقَ النّائِـبُ الـذي أُصِيْـبَ في تِلْـكَ التَّظاهُـرَةِ الحَيـاةَ، وفي الثّامِـنِ منـهُ، قُطِعَـتْ طُرُقـاتُ جونيه اسْـتِنْكارًا لِوفـاةِ ضابِـطٍ كانَ قَـدْ أُصيبَ بِـدَوْرِهِ خِلالَ تِلْكَ

(٥) التَّظاهُرَةُ بالتَّظاهُرَةِ تُذْكَر... في **مُسْتَهَلِّ الحَرْب والمُقاومة والحزب**، الذي جَمَعَ فيه غسّان شربل مُحاوراتِهِ مَعَ جورج حاوي، وهي مُحاوراتٌ سَبَقَ نَشْرُها في مَجَلَّةِ **الوسط**، (دار النَّهار، ٢٠٠٥)، يَكْتُبُ شربل، ص. ١٣، «في ٢٣ نيسان ١٩٦٩، تَقَدَّمَ حاوي صُفوفَ التَّظاهُرَةِ الشَّهيرةِ التي شَكَّلَت الطَّلْقَةَ الأولى في اتِّجاهِ الحَرْب...».

(٦) **النَّهار**، ٢٧ شباط ١٩٧٥. تَعَمُّدُ البَيانِ وَصْفَ الكوفِيّاتِ بالـ«مُزَرْكَشَة» تَفْصيلٌ يَعْدِلُ كِتابًا!

(٧) **النَّهار**، ٢ آذار ١٩٧٥.

التَّظاهُـرة[٨]، وفـي ١٢ منـهُ، لَـمْ يَتَـرَدَّدْ كمـال جنبـلاط فـي اسْـتِعْمالِ كلمـةِ «كارِثَـة» لِوَصْفِ مـا يُمْكِـنُ أنْ تَـؤولَ إليـه أحْـوالُ البِـلاد[٩].

مَقُـوْلَ القَـوْلِ، ولـو بِشَـيءٍ مِـنَ السُّـخْرِيَة، إنَّ «البوسْـطَة» التـي كانَ يَسْـتَقِلُّها، للتَّذْكيـرِ، عَـدَدٌ مِـنَ الفِلَسْـطينيّينَ لا مِـنَ اللبنانِيّـنَ، لَـمْ تُخْطِـئْ وُجْهَتَهـا إذْ يَمَّمَتْ صَوْبَ عينِ الرّمّانة، حَيْـثُ انْتَهَـتْ رِحْلَتُهـا فـي مَشْـهَدِيَّةٍ دَمَوِيَّةٍ لَمْ يُحـاوِلْ أحَـدٌ، حتّـى الآنَ، حَقَّ المُحاوَلَةِ، وشَـأنَ مَشْـهَدِيّاتٍ دَمَوِيَّـةٍ أُخْرى، أنْ يَتَحَرّى مُلابَسَـاتِها وأن يَفُـكَّ أسْـرارَها، كمـا لَمْ يُخْطِـئ اللبنانيّونَ إذْ رَفَعوهـا إلـى مَرْتَبَـةِ الأيْقونَـةِ مـن «حَـرْبٍ» كانـوا، علـى الأرْجَـحِ، يَتَشَـوَّقونَ، على أحَـرٍّ مِنَ الجَمْـرِ، إلـى انْدِلاعِهـا، بِمِقْـدارِ ما كانَـتْ، هِيَ، تَـتَـدَلَّلُ فـي البَحْـثِ بَيْـنَ حَوادِثِهِم عـن بِدايَةٍ تَليقُ بِهـا...[١٠]

(٨) «مِنْطَقَـةُ كسـروان عَبَّـرَتْ أمْـسِ عَـنْ حُزْنِهـا علـى المُـلازِمِ اليـاس الخـازن الـذي أُصيـبَ فـي حـوادِثٍ صَيْـدا وتُوفِّـيَ فـي الطّائِـرَةِ خِـلالَ نَقْلِـهِ للمُعالَجَـةِ فـي الخـارِج، فَقَطَـعَ شَـبابٌ مِنْهـا، فـي الصَّبـاحِ الباكِـرِ أوتوسـتراد جونيـه ـ بيـروت وسَـدّوا المَنافِـذَ المُؤَدِّيَـةَ إليـه بإطـاراتِ المَطّـاطِ والحِجـارَةِ وجُـذوعِ الأشْـجار، فـي حِمايَـةِ عَناصِـرَ مَدَنِيَّـةٍ مُسَـلَّحَةٍ [...] وفـي الحادِيَـةَ عَشْـرَةَ قَبْـلَ الظُّهْـرِ، نُظِّمَـتْ مَسـيرةٌ صامِتَـةٌ واكَبَتْهـا سَـيّاراتٌ حَمَلَـتْ عَناصِـرَ مُسَـلَّحَةً رُفِـعَ عَلَيْهـا العَلَـمُ اللبنانـيُّ مُوَشَّـحًا بالسَّـواد، كمـا حُمِلَـتْ لافِتـاتٌ كُتِبَ عَلَيْهـا "مِنْطَقَـةُ كِسـروان تَسْـتَنْكِرُ اغتيـالَ ابْنِهـا البـارّ"، و"مَسـيرَتُنا مَسـيرَتُك يـا شَـهيدَ لبنـان"...»، **النَّهار**، ٩ آذار ١٩٧٥.

(٩) «وسُـمِعَ جنبلاط [عِنْدَ مُغادَرَتِهِ قَصْـرَ بعبدا] يقـولُ بالفَرَنْسِـيَّة: "لازم الليلـة تنتهـي الأمـور وإلّا منوصـل لكارثـة"»، **النَّهار**، ١٣ آذار ١٩٧٥.

(١٠) في مَعْرِضِ الكَلامِ على واقِعَةِ «البوسْطَة»، يَسْتَشْهِد فريد الخازن بِعَدَدٍ مِنَ المَصادِرِ لِيَنْتَهِيَ إلى أنَّ «أغْرَبَ ما في حادِثَةِ عين الرّمّانة [هو لَرُبَّما] أنَّ السُّلْطاتِ الأمْنِيَّةَ اللبنانِيَّةَ، تَحَسُّبًا مِنْها لاحْتِفالَيْن مُعْلَنَيْن مُسْبَقًا، (التَّجَمُّع الفلسطينيّ وحضور بيار الجميّل الاحْتِفال بِتَدْشين الكَنيسَة)، كانَتْ قد وَقَّعَت اتِّفاقًا في الثّاني مِنْ شَهْرِ نيسان، أي قَبْلَ الحادِثَةِ بِبِضْعَةِ أيّام، مَعَ أرْبَعَةٍ مِنْ مُمَثّلي المُنَظَّماتِ الفِلَسْطينيَّة [...] مُنِعَ بِمُوجِبِه مُرورُ المَواكِبِ المُسَلَّحَةِ في عين الرّمّانة في ١٣ نيسان. وفي اجْتِماعٍ عُقِدَ في القَصْرِ الجُمْهوريّ في الرّابِعَ عَشَرَ من شهر أيّار ١٩٧٥، ضَمَّ، إلى جانِبِ الرَّئيس فرنجيَّة، ياسر عرفات والسَّفيرَيْن المِصريّ والسُّعوديّ، عَرَضَ فرنجيَّة على المُجْتَمِعينَ نُسْخَةً مِنْ مَحْضَرِ الاتِّفاق [...] فكانَ أنْ أنْكَرَ عرفات مَعْرِفَتَهُ بوجودِ الاتِّفاق».
تَفَكُّك أوْصال الدَّوْلَة في لبنان ١٩٦٧ ـ ١٩٧٦، دار النَّهار، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، ص. ٢٨٠.

لا بَـأسَ ألّا يَكـونَ قَـدْ بَقِـيَ الكَثيـرُ فـي الذّاكِرَةِ مِـنْ تِلْـكَ الزِّيـارَةِ التـي قـامَ بهـا محمـود ريـاض إلـى بَيْـروت، والتـي لَـمْ تَنْتَـهِ إلـى شَـيْءٍ يُذْكَـرُ بدَليـلِ أنَّ «الحَـوادِثَ» التـي أرادَ ذلـكَ المَسْـعى «الأخَـوِيُّ» أنْ يَضَـعَ حَـدًّا لهـا تَواصَلَـتْ، بـلِ ازْدادَتْ تَوَسُّـعًا وضَـراوَةً، كأنَّ خُطـوطَ نارِهـا كانَـتْ مَخْطوطَـةً سَـلَفًا، (وهِـيَ كانـتْ كذَلِـكَ)، وَكأنَّ مُقاتِليهـا كانـوا علـى أُهْبَـةِ الاسْـتِعْدادِ لهـا، (وَهُـمُ كانـوا)، وَوَكأنَّ أسْـلِحَتَها كانَـتْ مُذَخَّـرَةً، (وهِـيَ كانـت)... ولكـنْ لَيْـسَ هـذا فَحَسْـب...

فَمَـعَ تَوَسُّـعِ المَيادِيـنِ التـي حَدَثَـتْ فيهـا تِلْـكَ «الحَـوادِثُ»، ومَـعَ تَقَمُّصِهـا، «الجَوْلَـةَ» تِلـوَ الجَوْلَـةِ [11]، قَميـصَ حَرْبٍ\حُـروبٍ ذاتِ أهْـدافٍ سِياسِـيَّةٍ وعَسْـكريَّةٍ مُسَـدَّدَةٍ لا مَحَـلَّ لِوَصْفِهـا بـ«العَبَـث» أو بـ«التَّخَلّـي»، ارْتَفَعَـت، شَـيْئًا فَشَـيْئًا، كُلَّ الارْتِفـاعِ، إمْكانِيَّـةُ المُرافَعَـةِ عَـنْ طَبيعَتِهـا «الدّاخليَّـةِ»؛ وكُلِّ الحُـروبِ لَـمْ تَتَأَخَّـرْ هـذه الحَـرْبُ فـي اسْـتِدراجِ الفُضوليّينَ والوُسـطاءِ فسـارَ آخـرونَ علـى خُطـى محمـود ريـاض، وحَجّوا إلى بَيْـروتَ، فَدَخَلَهـا مُعْظَمُهُم

(١١) «الجَوْلَةُ» هو الاسْمُ الذي اصْطُلِحَ على إطْلاقِهِ على نَوْباتِ القِتالِ التي شَهِدَها لُبنانُ خِلالَ حَرْبِ السَّنَتَيْن. لا أثَرَ لِكَلِمَةِ «جَوْلَة» في عَناوينِ الصُّحُف قبل آب ١٩٧٥، غير أنَّ الأمْرَ يَبْقى بِرَسْمِ التَّدْقيق.

خالـيَ الوِفـاض، وعـادَ مِنْهـا بخُفَّـيْ حُنَيْـن ــ ألَلَّهــم إلّا مَنْ دَخَلَهـا وفـي أمْتِعَتِـهِ مـا يَصُـبُّ الزَّيْتَ علـى نارِهـا المُتَأَجِّجَـةِ أصْـلًا...

ليــسَ المُرادُ مِمّــا تَقَــدَّمَ التَّذْكيرَ، تَشَــفِّيًا وشَــماتَةً، بكُلِّ ما فَشِلَهُ سُــعاةُ الخَيْرِ أولَئِكَ فــي مَســاعيهِم، وإنَّمــا التَّأْكيــدُ علــى ما كَتَــبَ فيهِ كثيرونَ، وفَصَّلوا، مِــنْ أنَّ حَبْلَ ما انْدَلَعَ في لُبنــانَ منْ أعْمالِ عُنْــفٍ يُؤَرَّخُ لبدايتِهــا في ١٣ نيســان ١٩٧٥ لــم يَنْحَدِرْ، (على اللبنانيّيــن)، على غَيْرِ هُــدَىً، انْحِدارَ سَــيْلٍ جارِفٍ بَــلْ تَخَلَّلَتْهُ، مِــنْ يَوْمذاكَ إلى أنْ أزِفَــت «النِّهايَــةُ النِّهايَــةُ»، انْقِطاعــاتٌ ومُنْعَطَفاتٌ، لَمْ يَخْلُ مَعَهــا أنْ بدا، لِبَعْضِهِم، أحْيانًا، أنَّ «الحَرْبَ» تَتَهَيّــأُ لأنْ تَضَعَ أوْزارَها.

ففـي مـا بَيْـنَ «البِدايَـةِ» و«النِّهايَـةِ» ــ ولَـوْ أنَّ نَسَـبَ تِلْـكَ «البِدايةِ» نَفْسِـها يَرْتَفِـعُ إلى عَصْرٍ سِياسِـيٍّ لَيْـسَ هُـوَ هُـوَ العَصْـرَ السِّياسِـيَّ الذي يَرْتَفِـعُ إليـهِ عَصْرُ «النِّهايَـةِ» ــ كانتْ مُحاوَلاتٌ، بِنْـتُ أعْصُرِهـا ومـا تَطَـوَّرَهُ «حَـلُّ النِّزاعـات»، منهـا السّـاذَجُ علـى صِـدْقِ نِيَّـةٍ، ومِنْهـا الأدْنـى إلـى المُجامَلَة، أُريـدَ مِنْها التَّوَصُّلُ إلى تَسْـوِيةٍ،

أو ما يُشْبِهُ التَّسْوِيَةَ، سَواءٌ لِوَقْفِ الحَرْبِ مِنْ بابِ المُهادَنَةِ بِما يُتِيحُ لِلُّبنانيّينَ وسِواهُم مِنَ المُشارِكينَ فيها الْتِقاطَ أنْفاسِهِم، ومُراجَعَةَ أنْفُسِهِم، أوْ لِوَقْفِها مَعَ التَّوَصُّلِ إلى حُلولٍ «سِياسِيَّةٍ» بينَ مُتحارِبِيها، كما كانتْ مُحاوَلاتٌ لِوَقْفِها على أنْ يَلِيَ وَقْفَها الانْكبابُ على مُعالَجَةِ أسْبابِها. وكما أنَّ بَعْضًا مِنْ هَذِهِ المُحاوَلاتِ لم يَعْدُ ما تُنادي عَلَيْهِ أيُّ حَرْبٍ مِنْ إطْفاءِ حَريقِها، فإنَّ بَعْضًا آخَرَ مِنْها كانَ أقَلَّ نَزاهَةً في مقاصِدِهِ، ولوِجوهٍ غَيْرِ وَجْهِ «السَّلامِ» ما نَشَدَ إلَيْه!

بِطَبيعَةِ الحالِ، لَمْ تُقْتَصَر المُحاولاتُ الرّامِيَةُ إلى إخْمادِ النّارِ المُتَناسِلَةِ في هذا الهَشيمِ الذي لا يَدَعُ مِنْ شكٍّ في يَباسِهِ، أوِ الأطْمَحُ مِنْها، النّاشِدَةُ أكْثَرَ مِنْ مُجَرّدِ إطْفاءِ النّارِ، على مُوفَدينَ وعلى سُعاةِ خَيْرٍ وَفَدُوا مِنْ وَراءِ الحُدودِ، بلْ عَدَّتْ أيضًا، في عِدادِ مَنْ بادَرُوا إليها، هَيْئاتٍ لُبنانيَّةً، رَسْمِيَّةً وغَيْرَ رَسْمِيَّةٍ، وشَخْصِيّاتٍ، طَبيعِيَّةً ومَعْنَوِيَّةً، كما عَدَّتْ مُواطنينَ، حَمَلُوا مُواطِنِيَّتَهُم على مَحْمَلِ الجِدِّ، فَبادَروا، أفْرادًا وجماعاتٍ

ومَجْموعـاتٍ، علـى وَقْـعِ الخَـرابِ المُسْـتَطيرِ، إلـى التَّنَصُّـلِ مِمّـا يَجْـري مِـنْ حَوْلِهِـم، وإلـى الاسْـتِنْكارِ عَلَيْـهِ إبْـراءً لِذِمَمِهِـم، وشَـهادَةً بـأنْ لا ناقَـةَ لَهُـمْ فيـهِ ولا جَمَـل.

ففـي اليَوْمِيّـاتِ اللُّبنانيَّةِ، مَثَـلًا، أنَّ عَميدَ الكُتْلَةِ الوَطَنِيَّـةِ، ريمـون إدّه، تَوَجَّـهَ بِنَفْسِـهِ، يـوم ١٥ نَيْسـانَ ١٩٧٥ إلـى مِنْطَقَـةِ الدّكْوانَـة، مِـنْ ضواحـي بيـروت الشَّـرْقِيَّةِ الشَّـماليَّةِ، وأمْضـى فيهـا سـاعاتٍ مُحـاوِلًا تَرْتيـبَ وَقْـفٍ للنّـارِ بينَ المُتَحاربيـن[١٢]، وبُعَيْـدَ أيّـام علـى ١٣ نَيْسـان، فـي ١٩ منـهُ، انْعَقَـدَ فـي مَقَـرِّ «المَجْلِـسِ الإسْـلاميِّ الشّـيعيِّ الأعْلـى»، الواقِـعِ، آنـذاك، فـي الحازميَّـة، مِـنْ ضواحـي بيـروت الشَّـرْقِيَّةِ الجَنوبِيَّـة، مـا وَصَفَتْـهُ **النَّهـار** بـ«المُؤتَمَـرِ الوَطَنِـيِّ»، (علـى حِـرْصٍ مِنْهـا بـأنْ تُحيـطَ العِبـارَةَ بعَلامَتَيْ تَنْصيصٍ تُفيـدانِ المَجازيَّـةَ)، مُنَوِّهَـةً فـي عُنـوانِ المَقالَـةِ بـأنَّ «المَسـاعيَ تَتَخَطّـى التَّهْدِئَةَ إلـى الحُلولِ المُسْـتَقْبَلِيَّةِ»[١٣].

(١٢) **النَّهار**، ١٦ نيسان ١٩٧٥.

أمَّـا خَريـفُ ١٩٧٥ ففـي رَصيـدِهِ أنَّ السَّـبْتَ ١١ تِشـرينَ الأوَّلَ مِنْـهُ شَـهِدَ «مُصالَحَـةً بَيْـنَ مُقاتِلـي الشِّـياحِ وعيـنِ الرّمّانةِ، وتَبـادُلَ العِناقَ

(١٣) **النَّهار**، ٢٠ نيسان ١٩٧٥. لا يَزالُ مَبْنى «المَجْلِس الإسْلاميّ الشّيعيّ الأعْلى» في الحازميّة مِلْكًا لَهُ، ولكنَّ مَقَرَّ «المَجْلِس»، مُتابَعَةً لِجُغْرافيا الانْقِسامِ اللبنانِيّ، انْتَقَلَ إلى «الضّاحِيَة» (الجَنوبِيَّة)، عاصِمَةِ الشّيعِيَّةِ السِّياسِيَّة.

بيـن الطَّرفَيْـنِ، بمُبـادَرَةٍ مِـنْ دانـي شـمعون والشَّـيْخ محمَّـد يعقـوب»، (مَـعَ العِلْـمِ بـأنَّ الاشْـتِباكاتِ كانَـتْ تَتَواصَـلُ علـى جَبْهـاتٍ أُخْـرى)[١٤]، وأنَّ الثُّلاثـاءَ ٢٨ منـه سَـجَّلَ «فـي رأس بَيْـروتَ، بِدَعْـوَةٍ مِـنْ "لجنـةِ التَّنْسـيقِ في المَحَلَّـة"، حَمْلَـةَ شَـطْبِ المَذْهَـبِ عَـنْ بِطاقَةِ الهُوِيَّـة»[١٥]... وفي زَحْمَةِ هـذهِ المُبادَراتِ، وإذْ كانَ قَـدْ تَحَقَّـقَ أنَّ مُعالَجَـةَ «الحَـوادِثِ» باتَتْ تَحْتـاجُ إلـى شَـيْءٍ غَيْـرِ المُبـادَراتِ الفَرْديَّـةِ، والمُؤتَمَـراتِ الوَطَنِيَّةِ، والمُصالَحـاتِ المُرْتَجَلَةِ، ودَفْـعِ الشَّـرِّ بالمَواقِـفِ الحَماسِـيَّةِ ــ إذْ تَحَقَّقَ أنَّ مُعالَجَـةَ «الحَوادِثِ» تَحْتاجُ إلى إدارةٍ أشْـبَهَ بـإدارَةِ الحُـروبِ المَديـدةِ مِنْهـا بـإدارةِ الكارِثَةِ التـي تَقَـعُ لِمَـرَّةٍ واحـدةٍ وَحيـدَةٍ ــ أُعْلِـنَ فـي ٢٣ أيّـار عـن إنْشـاءِ لِجـانٍ لُبنانيَّةٍ\فِلَسْـطينيَّةٍ مُشْـتَرَكةٍ مُهِمَّتُهـا الإشْـرافُ علـى تَنْفيـذِ وَقْـفِ إطْـلاقِ النّـارِ...[١٦] ــ لِجـانٍ لَـنْ تَلْبَـثَ أنْ تُخْلِيَ مَحَلَّهـا، علـى مَرِّ الحَـرْبِ، لِلِجانٍ أُخْرى، أشْـكالَ ألْـوانَ، رُبَّمـا تَـكونُ اللَّجْنَـةُ التـي تَعـارَفَ اللبنانيّـونَ علـى تَسْـمِيَتِها «اللَّجْنَـة الأمْنِيَّـة»

(١٤) **النَّهـار**، ١٢ تشـرين الأوَّل ١٩٧٥.

(١٥) «١٧٨ شَطَبوا أمْسِ المَذْهَبَ الطائِفِيَّ مِنْ هُوِيّاتِهِم احْتِجاجًا على الاقْتِتالِ والمذابِحِ التي تَتَعَرَّضُ لها البِلاد. مِنْ مُخْتَلِفِ الأعْمارِ، رِجالًا ونِساءً، مُثَقَّفين وأُمِيّين، مَسيحيّين ومُسلِمين، تَدافَعوا أمْسِ، في باحَةِ كَنيسَةِ سَيّدةِ النِّياح للرّوم الأرثوذكس في رأس بيروت، بِدَعْوَةٍ من لَجْنَةِ التَّنْسيق في المَحَلَّة، لِشَطْبِ المَذْهَبِ مِنْ هُوِيّاتِهِم [...] وكَثيرونَ فَكَّروا في وَضْعِ كَلِمات: "مَحَبَّة"، "سَلام"، "عَدْل"، "مُساوَاة"، و"إخاء" مَكانَ مذاهِبِهِم إلّا أنَّهُم اكْتَفوا بـ"الخطِّ الأسْوَد" لِمَحْوِ كُلِّ الأثَر وَرَدَّدَ مُعْظَمُهُم: "رَوْحَة من دون رَجْعَة" وآخرون قالوا: "لو خُيِّرْنا مُنْذُ وِلادَتِنا أيَّ مَذْهَبٍ نَرْغَبُ لما تَرَدَّدْنا لَحْظَةً في القول: لُبنان"»، **النَّهار**، ٢٩ تشرين الأوَّل ١٩٧٥.

(١٦) «أصْدَرَت المُديريَّةُ العامَّةُ لِقُوى الأمْنِ الدّاخِلِيِّ أمْسِ البَلاغَ الآتي: "في تاريخِ اليَوْمِ الواقعِ فيه ٢٣ أيّار ١٩٧٥ تألَّفَت لِجانٌ مُشْتَرَكةٌ للإشْرافِ على تَنْفيذِ وَقْفِ إطْلاقِ النّيرانِ الذي تَمَّ الاتِّفاقُ عَلَيْهِ بين مُخْتَلِفِ الأطْرافِ والذي حُدِّدَ اعْتِبارًا مِنَ السّاعَةِ التّاسِعَةِ مِنْ هذا المَساءِ (أمس) بالتَّنْسيقِ بَيْنَ الفُرَقاءِ، وذَلِكَ في الأمْكِنَةِ التي حَصَلَت فيها الاشْتِباكاتُ الأخيرة. وقد بُوشِرَ تَنْفيذُ الاتِّفاقِ على الفَوْر". وصَرَّحَ مُتَحَدِّثٌ مَسْؤولٌ باسْمِ الثَّوْرَةِ الفِلَسْطينيَّة بما يأتي: "عَيَّنَتْ قيادةُ الثَّوْرَةِ مَنْدوبيها في اللجانِ المُشْتَرَكَةِ، للعَمَلِ على تَهْدِئَةِ الأحْوالِ، وباشَرَت الاتِّصالَ بِقيادَةِ الجَيْشِ لتنفيذِ الاتِّفاق"»، **النَّهار**، ٢٤ أيّار ١٩٧٥.

أعلى ما بَلَغَتْ إلَيْهِ إدارَةُ الحَرْبِ، على الطَّريقَةِ اللبنانيَّة، مِنْ حَذْلَقَة[17].

(١٧) في ٢٥ أيلول ١٩٨٣، عَشِيَّةَ انْعِقادِ مُؤْتَمرِ جنيف، صَدَرَ عَنْ القَصْرِ الجُمْهوريِّ البَيانُ التّالي: «بَعْدَ اجْتماعٍ تَمَّ بَيْنَ فَخامَةِ رَئيسِ الجُمْهورِيَّة ودَوْلَةِ رئيسِ الحُكومَةِ

للتَّداولِ حَوْلَ نَتائِجِ الوَساطَةِ السُّعوديَّةِ، تَقَرَّرَ إعْلانُ البَيانِ التّالي:

انْطِلاقًا مِنَ المُحادثاتِ والاتِّصالاتِ التي جَرَت في كُلٍّ مِنَ العَواصِمِ العَرَبيَّةِ بيروت ودمشق والرياض حول إيجادِ تَصَوُّرٍ مُشْتَرَكٍ لِلْبَحْثِ عَنْ أَنْسَبِ الحُلولِ لإنْقاذِ المَوْقِفِ المُتَدَهْوِرِ على السّاحَةِ اللبنانيَّة، وحِرْصًا على حَقْنِ الدِّماءِ، وَوَقْفِ القِتالِ، واسْتقرارِ السَّلامِ في جميعِ أنحاء الجُمهوريَّة اللبنانيَّة، تَمْهيدًا لِتَحْقيقِ وِفاقٍ وَطَنِيٍّ شامِلٍ [...]، يكونُ ضَمانًا لِبَسْطِ سيادَةِ الدَّوْلَةِ على كافَّةِ الأراضي اللبنانيَّةِ وإقامَةِ حُكْمٍ مُتَوازِنٍ، اتُّفِقَ على ما يأتي:

(أ) وَقْف إطْلاقِ النّار فَوْرًا في جَميعِ الأراضي اللبنانيَّة وعلى جَميعِ المَحاوِرِ ونِقاطِ التَّماس، ويقومُ بالإشْرافِ على وَقْفِ إطلاقِ النّار مُراقِبونَ حِيادِيّون في مَناطِقِ القِتال [...].

(ب) تُشَكَّل لَجْنَةٌ مِنَ الأطْرافِ التّالِيَةِ: الجَيْش، الجَبْهَة اللبنانيَّة، جَبْهَة الخَلاص الوَطَنِيّ [الاسْم الاصْطِلاحِيّ لائْتِلافٍ سِياسِيٍّ مِنَ المُوالينَ لِدِمَشْقَ عِمادُهُ العَسْكَرِيُّ ميليشيا الحِزْبِ التَّقَدُّمِيّ الاشْتِراكي)، وحَرَكَة أمل لِوَضْعِ تَرْتيباتِ وَقْفِ إطْلاقِ النّار وتَثْبيتِهِ».

تُعْتَبَرُ هذه اللَّجْنَةُ الطَّبْعَةَ الأولى مِمّا عُرِفَ بـ«اللَّجْنَةِ الأمْنِيَّة» والتي انْتَهى الأمْرُ بِمُعْظَمِ أعضائِها الذين عاصَروا «نِهايَةَ الحَرْب» إلى تَبَوُّؤِ أرْفَعِ المَناصِبِ في جُمْهوريَّة الطّائف. على أنَّه، فَثَقافَةُ «الأمْن بالتَّراضي» ــ التَّراضي بين أطْرافٍ مُتَنازِعينَ والتَّراضي بَيْنَ هؤلاءِ الأطْرافِ و«الدَّوْلة» ــ لَمْ تَدخُل مَعَ «نِهايَة الحَرْبِ» ذِمَّةَ كانَ بَلْ بَقِيَتْ مُتَوَسِّلًا بِرَسْمِ أنْ يُنْفَضَ الغُبارُ عنه كُلَّما دَعَت الضَّرورة.

ففي ٢٣ تمّوز ٢٠٠٩، «دعا رَئيسُ فَرْعِ مُخابراتِ بَيْروت العقيد جورج خميس [إلى لِقاءٍ أمْنِيٍّ] حَضَرَ[ه ماهر] أبو الخدود، [مَسؤولُ العَمَل الشَّعْبي في تَيّار المُسْتَقْبَل]، والمَسْؤولُ عَنْ لَجْنَةِ الارتباطِ والتَّنْسيقِ في حزب الله في بيروت عماد كحلول، والمَسْؤولُ عَنْ الإعْدادِ والتَّوجيهِ في حركة أمل علي جابر، وشارَكَ [فيه] رئيسُ مَكْتَب أمْن المزرعة في مخابرات بيروت العقيد جهاد الحسن، ورَئيسُ مَكْتَب أمْن الحمرا المُقَدَّم الرّكن جهاد حلّال» وخَلَصَ الاجْتِماعُ إلى بَيانٍ «اعْتَبَرَ المُجْتَمِعون [فيه] أنَّ الاجْتِماعَ "يَنْسَجِمُ مَعَ المَناخِ التَّصالُحِيّ بين قياداتِ الأحْزَابِ والتَّيّاراتِ الرَّئيسيَّةِ في بيروت ولقاءاتِ التَّقارُبِ بَيْنَهُم، و[أنَّ الاجْتِماعَ] هَدَفُهُ وَضْعُ تَصَوُّرٍ واقْتِراحاتٍ عَنْ نَقْلِ هذه الأجْواءِ إلى قَواعِدِهِم الحِزْبِيَّةِ والشَّعبيَّةِ ومُناصِريهم، وذلك بِقَصْدِ سَحْبِ التَّشَنُّجِ مِنَ الشّارِعِ وعَوْدَةِ الأُلْفَةِ بَيْنَ سُكّانِ مَدينةِ بيروت وأحْيائِها"»، وتُضيفُ كاتِبَةُ المَقالَةِ أنَّ هذا الاجْتِماع «لَيْسَ الأوَّلَ ولن يَكونَ الأخير»؛ **النَّهار**، ٢٤ تموز ٢٠٠٩.

النّائِبُ عَنْ بَيْروتَ، يَومذاك، نهاد المشنوق، اسْتَنْكَرَ أن يُعْقَدَ اجتماعٌ مِنْ هذا القَبيلِ مُعْتَبِرًا أنَّ هَكَذا اجْتِماعٍ «لا يُمَثِّلُ كُتْلَةَ تَيّارِ المُسْتَقْبَل أو تَيّارَ رفيق الحريري» مُضيفًا: «نَطْلُبُ مِنَ الجَيْشِ أنْ يَكونَ دَوْرُهُ طَبيعيًّا بَيْنَ النّاسِ وأنْ يَكونَ حامِيًا لَهُمْ مِنْ دونِ العَوْدَةِ إلى اجْتِماعاتٍ بين مِيليشياتٍ في مَرْكَزِ المُخابراتِ، أو في أيِّ مَكانٍ آخَرَ باعتبارِها أطْرافَ صِراعٍ عَسْكَرِيّ»؛ (المصدر السّابق).

كان ذلك، ودارَت الأيّامُ دَوْرَتَها وَوُلِيَّ المَشْنوقُ وزارةَ الدّاخليّة في حُكومَةِ «المَصْلَحَةِ الوَطَنِيَّة»، (حكومة تمّام سلام: ١٥ شباط ٢٠١٤ ـ ١٨ كانون الأول ٢٠١٦)، وكانَ مِنْ أولى مآثِرِهِ في مَنْصِبِهِ هذا أنْ دَعا إلى اجْتِماعٍ أمْنِيٍّ في مَكْتَبِهِ بِحضورِ مَسؤولِ وَحْدَةِ الارْتِباط والتَّنْسيقِ في حزب الله الحاج وفيق صفا، و«الأهَمُّ مِنْ مَبْدأ الاجْتِماع، على ما عَلَّقَت **السَّفير**، تِلْكَ الصّورةُ، [صورةُ الاجْتِماع]، التي قَرَّرَ وَزيرُ الدّاخِلِيَّةِ نَفْسُهُ تَعْميمَها»؛ **السَّفير**، ٢٤ نيسان ٢٠١٤.

على أنَّـهُ، ومِنْ قَـبْلِ أنْ تأكَّدَ أنَّ الحَـرْبَ ألْقَتْ عَصاهـا كُلَّ الإلْقـاءِ، فَمَـنْ يُطالِـعُ يَوْميّـاتِ السَّـنَواتِ الأوْلى مِنَ الحَرْبِ، ولا سِـيَّما السَّنَتَيْنِ الأُوْلَيَيْـن لا يَمْلِـكُ إلّا أنْ يُدْهَـش أيْضًا مِنْ غَزارَةِ الأفْـكارِ والمُقْتَرَحـاتِ التـي أُريـدَ مِنْهـا اجْتِـراحُ حُلـولٍ تُخْـرِجُ لبنـانَ مـن دَوّامَتِـه، وتُوقِـفُ مُسَلْسَـلَ العُنْـفِ، وحتّـى مِـنْ غَـزارَةِ الأفـكارِ والبَرامِـجَ التـي تَقْتَـرِحُ علـى اللبنانيّيـنَ سُـبُلًا افْتَـرَضَ أصحـابُ تِلْـكَ الأفـكارِ والبَرامِـجِ أنَّ مِنْ شـأنِها أنْ تُنْتِـجَ حلـولًا سِياسِـيَّةً نهائـِيَّةً تَكْفُـلُ لهذا البَلَدِ الصَّغيرِ السَّـلامَ وَالنَّعيمَ الدّائِمَيْن، ولا يَمْلِـكُ إلّا أنْ يَتَسـاءَلَ: هـلْ كانـتْ هـذهِ الغَزارَةُ تَكْفيـرًا عَمّـا سَـبَقَ لِمُعْظَـمِ السّاسَـةِ اللبنانيّينَ، مَـنْ خـاضَ الحـربَ مِنْهُـمْ فرُفِـعَ إلى رُتْبَـةِ أميرٍ، ومَـنْ لَـمْ يَخُضْهـا فطـوى ذِكْـرَهُ النِّسـيانُ، أنْ تَنَبَّـؤوا بـهِ مِـنْ أنَّ الأسـوأَ علـى الأبْـوابِ، أوْ مِنْ حُسْـنِ نِيَّـةٍ، أو مِـنْ سَـذاجَةٍ، أوْ مِـنْ مَزيـجٍ مِنْ هـذهِ جميعًـا؟ ولا يَمْلِـكُ أيضًـا إلّا أنْ يَسْـتَطْرِدَ إلـى سُـؤالٍ آخَـرَ: هَـلْ صَـدَقَ أصحـابُ هـذهِ المَجْهـوداتِ فـي ظَنِّهِـم، وحَسَـبوا، بِخِـلافِ مـا ذَهَـبَ إليـهِ الشّـاعِرُ، أنَّ فـي الوُسْـعِ، بَعْـدُ، أنْ «يَـرُدَّ الـدَّرَّ فـي الضِّـرْعِ حالِبُـه»؟[١٨].

(١٨) فأصْبَحْتُ لا أسْطيعُ رَدًّا لِما مضى كما لا يَرُدُّ الدَّرَّ في الضَّرْعِ حالِبُه.

II

لَرُبَّ عائِبٍ على هذا السُّؤالِ ما قَدْ يَبْدو عليه مِن اسْتِلْهامٍ لهواجِسِ الحاضِرِ وخواطِرِهِ؛ والحَقُّ أنَّ ما يَراهُ العائِبُ عَيْبًا لا نراهُ كذَلِكَ، بَلْ نَذْهَبُ إلى أبْعَدَ مِنْ مُلاحَظَتِهِ فَنَقولُ إنَّ مَنْبِتَ المَشْروعِ الذي تُنْشَرُ هذهِ العُجالَةُ في سِياقِهِ، «السَّلامُ عَلَيْكُم ــ نِزاعاتُ لُبنانَ في مُحاوَلاتِ إنْهائِها» ــ إنَّ مَنْبِتَ هذا المَشْروعِ إنَّما هُوَ هَواجِسُ الحاضِرِ ومَشاغِلُهُ ــ عِلْمًا أنَّ هذهِ الهَواجسَ ما كانَتْ لِتَجِدَ لها مَكانًا في الحاضِرِ (اللبنانيِّ) لَوْ كُتِبَ لها أنْ تَمْضِيَ، أيْ أنْ يَسْتَوْلِيَ «الماضي» عَلَيْها، وأنْ يَسْتَدْخِلَها في ذِمَّتِهِ، فتُصَنَّفَ في المَحْفوظات.

هُوَ كَذَلِكَ ولكنْ لَيْسَ هذا فَحَسْبُ؛ صَحيحٌ أنَّ مُبْتَدأَ هذا المَشْروعِ هُوَ «نِزاعاتُ لُبنانَ

فـي مُحـاوَلاتِ إنْهائِهـا»، وما يَتَجَدَّدُ مِنْ شَـبابِ هَواجِـسَ وحِيـراتٍ ذاتِ صِلَـةٍ بهـذهِ النِّزاعاتِ، غَيْـرَ أنَّ هـذا المُبْتَـدَأَ يَحْتَمِـلُ أخبـارًا عِـدَّةً لا خَبَـرًا واحِـدًا. وإذا كانَ الخَبَـرُ الأسْـرَعُ إلـى الخاطِـرِ هُـوَ لبنـانُ، فـإنَّ لبنـانَ لَـمْ يَعُـدْ اسْـمَ عَلَـمٍ لمَـكانٍ فَقَـط.

فعلـى غِـرارِ مـا دَخَلَـتِ «اللَّبْنَنَـةُ»، ذاتَ يَـوْمٍ، القامـوسَ السياسـيَّ، بالعَرَبِيَّـةِ وبِسِـواها مِـنَ اللُّغـاتِ، بِوَصْفِهـا نَمُوذَجًـا مِـنْ نمـاذِجِ النِّـزاعِ والتَّمَـزُّق، فـإنَّ البَغْـض، اليَـوْمَ، لا يَتَـرَدَّدُ فـي اقْتِـراحِ «اللَّبْنَنَـةِ»، علـى نحـو مـا انْعَقَـدَتْ عليـهِ مَـعَ اتِّفـاقِ الطّائِـفِ نَمُوَذَجًـا مِـنْ نَماذِجِ التَّسْـوِيَةِ المُمْكِنَـةِ فـي بُلْدانٍ مُجـاوِرَةٍ، ويكونُ هـذا بِصَـرْفِ النَّظَـرِ عمّـا كَشَـفَ عَنْـهُ العَقْدانِ ونِصْـفُ العَقْـدِ ونَيِّـفٌ الماضِيـانِ، مِـنْ عُيُـوبِ هـذا الاتِّفـاق!

مِـنْ ثَـمَّ فـإنَّ لِلْعَوْدِ علـى ما كانَ مـن مُحاولاتٍ لإنْهـاءِ النِّـزاعِ فـي لبنـانَ فَوائِـدَ، إنْ جـازتِ العِبـارَةُ، عَميمَـةً، لا يُقْتَصَـرُ النَّفْـعُ مِنهـا علـى لبنـانَ وَحْـدَه!

وإنْ تَسْتَـقِم الإحالـةُ، مِـنْ بـابِ المَجـازِ، إلـى السَّـنَواتِ المُمْتَـدَّةِ مِـنْ ١٩٧٥ إلـى ١٩٩٠ بِوَصْفِهـا «مرحَلَـةَ الحَرْب»، فأدْنى مـا يُقالُ في هـذهِ الإحالـةِ، متـى مـا تَصَـدّى المَـرْءُ للفَحْصِ عمّـا كانَ مِـنْ مُحـاولاتٍ خِلالَهـا لإنهـاءِ نِزاعاتِ لبنـانَ، إنَّهـا إيجـازٌ مُخِـلٌّ لا أقلَّ مِنْ ذَلِكَ.

فنِزاعـاتُ لبنـانَ، علـى مـا تَقَـدَّمُ القَـوْلُ، وليـسَ لُبنـانُ فـي هـذا بالبَلَـدِ الفَريـدِ، لَيْسَـتْ كَثيـرةً مِـنْ حَيْـثُ هِـيَ تَرْجَمَـةٌ عَـنْ قضايـا خِلافـيَّةٍ يَتَوارثُهـا اللبنانيّـونَ جيـلاً بعـدَ جيـل، ويُسْـلِمُها السّـابقونَ إلـى اللاحِقيـنَ وحَسْـب، ولكنَّهـا كَثيـرةٌ أيضًـا مِـنْ حَيْـثُ إنَّ كلَّ فَصْـلٍ مِـنْ فُصولِهـا كانَ مِـنْ شَـأنِهِ، علـى نَحْـوٍ مـا، فـي عِـدادِ مـا كانَ، إعـادَةُ تَرْتيـبِ المَسْـرَحِ الـذي يَـدورُ النِّـزاعُ علـى خَـشَبَتِهِ، وغَرْبَلَـةُ الشَّـخْصِيّاتِ، المادِيَّـةِ والمَعْنَويَّـةِ، المُشـارِكةِ فيـه، فـي مـا يُشْـبِهُ الاصْطِفـاءَ الطَّبيعـيَّ الـذي يَكْتُبُ «البَقاءَ لِلأصْلَح».

فَمَـنْ يَنْظُرْ إلـى الحِقْبَةِ المُمْتَدَّةِ مِنْ ١٩٧٥ إلى ١٩٩٠ لا يَسَـعُهُ إلّا أنْ يُلاحِـظ أنَّ «اللبنانيّيـن» الّذيـنَ يُقْصَـدُ الـكَلامُ عَلَيْهِـم لَيْسـوا، علـى

مَـرِّ السَّـنواتِ، هُـمُ هُـمُ، بَـلْ لا يَسَـعُهُ إلّا أن يُلاحِـظ أنَّ المَحَطّـاتِ الأبْرَزَ مِنَ الحَـرْبِ كانَتْ أشْـبَهَ بـ«الأبْـوابِ الـدَّوّارَةِ» التـي يَخْـرُجُ مِـنْ خَلَلِهـا، وبِمُناسَـبَتِها، لاعِبـونَ، ويَلِجُ مِـنْ خَلَلِها، وبِمُناسَـبَتِها، لاعِبـونَ، يُجَـدِّدُ منهُـمْ مَـنْ يُجَـدِّدُ فـي مُفْـرَداتِ السِّـجالِ، أوْ يَرِثُ مُفْـرداتٍ تَليدةً ويَسْـتأنفُ تَأويلَهـا وهكـذا دواليـك.

لـن تَخْلـوَ الإشـارَةُ في ما يلي إلـى أنَّ اللبنانيّينَ الذيـن عُهِـدَ إليهِـم الاتِّفاقُ فـي لَحْظَـةٍ إقْليميَّةٍ مُعَيَّنَـةٍ علـى الاتِّفـاقِ، والتَّوْقيـعِ علـى وَثيقَـةٍ للوِفـاقِ الوطنـيّ، ليسـوا هُـمُ هُـمُ اللبنانييـنَ الذيـن تَعَهَّـدوا لبنـانَ، حُكْمًـا وإدارَةً، بِمُوجِـبِ اتِّفـاقِ الطائـف. والحـالُ أنَّ هـذا «التَّسَـلُّمَ والتَّسْـليمَ» لَيْـسَ بالتَّفْصيلِ الذي يُمَـرُّ بِهِ مُرورَ الكِـرام؛ وإذْ يجـري علـى الطّائِـفِ، المَحَطَّـةِ السِّـلْمِيَّةِ فـي عـداد مَحَطّـاتٍ سِـلْمِيَّةٍ أُخْـرى تَعاقَبَـت علـى نِزاعـاتِ لبنـان، وَصْـفُ البـابِ الـدَّوّارِ فما بالُـكَ بالمَحَطّـاتِ التـي لـم يَتَـرَدَّد أصْحابُهـا فـي الجَهْرِ بـأنَّ الانْقلابَ علـى أوْضاعٍ قائِمَـةٍ هـو خِطَّتُهُـم والمُبْتَغـى!

لَعَـلَّ هـذهِ المُلاحَظَـةَ ألّا تَعْـدو أنْ تكونَ شَـيْئًا

مِـنْ قَبيـلِ تَأْكيـدِ المُؤَكَّـدِ، وهِـيَ علـى الأرْجَحِ كَذَلِـكَ، غَيْـرَ أنَّ نُفولَها هذا لا يُقَلِّلُ مِنْ جَدْواها لِمَـنْ يَـرُومُ أنْ يَقُـصَّ أَثَـرَ «الحَرْبِ» و«السَّـلامِ» اللبنانيَّيْـن، سـواءٌ بِوَصْفِهِمـا بَعْضًـا مِـنْ تَرِكَـةٍ لا تَنِـي تُفاجِـئُ اللبنانييـنَ بِمُحْتَوياتِها، كُلَّمـا سَـبَّبَتْ أسْـبابٌ بِفَتْحِها، أوْ بِوَصْفِهِمـا وقْفًـا بِرَسْـمِ الإفـادَةِ العامَّـةِ مِنْهُمـا.

نِزاعـاتُ لبنـانَ، اسْـتِطرادًا، تَقْبَـلُ أنْ تُقَـصَّ آثارُهـا بِتَتَـبُّعِ ماجَرَياتِها الحَرْبِيَّـةِ، الكَبيـرةِ مِنْها والصَّغيـرة، مـا تَواجَـهَ خِلالَها خُصـومٌ ضاقَـتْ بِهِـمُ الخُصومَةُ فَأَشْـهَروا العَـداءَ القاتِلَ بَعْضُهُـمْ لِبَعـضٍ، أوْ مـا تَواجَـهَ خِلالَها أُخْـوَةٌ مَزْعومـونَ فَتَنَـت بينَهُم النَّزَواتُ، كمَـا تَقْبَلُ أنْ تُقَـصَّ آثارُهـا بِـتَتَـبُّعِ مُحـاولاتِ إنْهائِها ــ على أنْ تُفْهَـمَ هـذهِ الكَلِمَـةُ، على ما تَقَـدَّمَ، بِكُلِّ ما تَحْتَمِلُـهُ مِـنْ مَعـانٍ: إنْهـاءٌ على معنى السَّـعْيِ إلـى فَـضِّ اشْـتِباكٍ عسـكريٍّ، أوْ إنْهـاءٌ، علـى مَعْـنًى أدْخَـلَ فـي التَّجْريـدِ، مَقْصـودُهُ تَـتَـبُّعُ مُسَـبِّباتِ هـذا النِّـزاعِ أوْ ذاك، والعَمَـلُ علـى تَعْطيـلِ هـذهِ المُسَـبِّبات. وكما أنَّ شَيْـئًا يَأخُذُ مِـنْ هـذا الإنْهـاءِ صاحَبَ شَـيْئًا يأخُذُ مِـنْ ذاك،

لَـمْ يَخْـلُ الأمْـرُ فـي أحْيـانٍ أُخْـرى، ولا يَخْلـو، حتّـى يَوْمِنـا هـذا، مِـنْ تَسَـابُقٍ بَـيْـنَ نَمَطَـي الإنْهـاءِ هذيَـن، وحتّـى، في أحْيانٍ، مِـنْ صُنوفٍ أُخْـرَى مِـنَ التَّداخُـلِ بَيْنَهُمـا.

III

لَيْسَ مِنْ قَبِيلِ الصُّدْفَةِ، على ما أشارَ إلى الأمْرِ كُثُرٌ، أنَّ الرّوزنامَةَ اللبنانيَّةَ التي تُؤَرِّخُ بـ ١٣ نَيْسان ١٩٧٥ لِـ«بِدايَةِ» الحَرْبِ لا تَلْحَظُ تاريخًا مُحَدَّدًا لِنِهايَتِها[1] ـ وَلَوْ أنَّ شَيْئًا مِنْ قَبيلِ «الإجْماعِ» يَنْعَقِدُ على أنَّ اتِّفاقَ الطّائِفِ هُوَ الاتِّفاقُ الذي انْتَهَت الحَرْبُ بِمُوجِبِه. وإذْ هوَ كذَلِكَ فلا بأسَ مِنَ التَّذْكيرِ بأنَّ ما يُحالُ إليهِ

(١) ومِمّا يُخَبِّرُ، لَرُبَّما، عن أحْوالِ لُبنانَ واللُّبنانِيّينَ، ما يَعْتَري ١٣ نيسان نَفْسَه من شُحوب، وما يَنْخَفِضُهُ رُتْبَةً في الرّوزنامَةِ اللُبنانيَّة. مِنْ عَلاماتِ ذلكَ ما كانَ في ٢٠١٥، الذِّكرى الأربعين على ١٣ نيسان، والذِّكرى المِئَوِيَّةِ على المِحْنَةِ الأرْمنيَّة. حَقُّ المَرْءِ أنْ يَنْتَظِرَ مِنَ اللبنانيين إحْياءَ الذِّكْرى الأربعينَ على انْدِلاعِ الحَرْبِ إحْياءً على شيءٍ مِنَ التَّمَيُّزِ غير أنَّ هذا ما لَمْ يَكُن، وعِوَضَ اسْتِذْكارِ حَرْبِهِم انْشَغَلَ اللبنانيّونَ، أو قُلْ بَعْضُهُم، بِحَرْبٍ أخرى مِنْ وَحْيِ الحاضِرِ وبِمُفْرداتِه. فإذْ أعْلَنَ وَزيرُ التَّربيَةِ نَهارَ الجُمُعة ٢٤ نيسان عُطْلَةً للمدارس، «أثارَ [إعْلانُهُ هذا] اعْتِراضًا واسِعًا في الأوْساطِ الإسلاميَّةِ [السُّنِّيَّة]». وعلى الرُّغْمِ مِنَ «التَّأييدِ» الذي حَظِيَ به قرارُ الوزيرِ من قِبَلِ مَجْلِسِ الوزراء، فإنَّ هذا التَّأييدَ لَمْ يَحُل دون أنْ تَرْتَفِعَ أصْواتٌ مُطالِبَةٌ «بِحَصْرِ القَرارِ بالمدارِسِ الخاصَّةِ التي تَرْغَبُ بذلك دون التَّعَرُّضِ للمدارِسِ الإسلاميَّةِ [السُّنِّيَّة] والمدارِسِ الرَّسْميَّةِ التي تَجْمَعُ في صفوفِها تَلامِذَةً من فِئاتٍ مُخْتَلِفَة»، ودون أنْ تَعْلوَ أصواتٌ أخرى مُطالبةٌ بإحْياءِ ذِكرى مَقاتِلَ أخرى، («صبرا وشاتيلا، والبوسنة، وكوسوفو، وبورما...»)، أو دونَ أنْ تَرْتَفِعَ أصواتٌ تَعْتَبِرُ أنَّ في إحْياءِ مِئَوِيَةِ المِحْنَةِ الأرمنيَّةِ «إثارَةٌ للنَّعْرات والفِتَن»؛ (أنظر عدد **النَّهار** الصّادِر في ٢٢ نيسان ٢٠١٥ ، وعدد **الأخبار** الصّادر في اليوم التالي ٢٣ نيسان ٢٠١٥). ولَقَد يُظَنُّ أنَّ هذا الاشْتِباكَ حادِثَةٌ مَوْسِمِيَّةٌ عابِرَةٌ لا بَعْدَ لها، غَيْرَ أنَّ الوَقائِعَ لا تَلْبَثُ أن تُخَيِّبَ هذا الظَّن. فَبِمُناسَبة مُباراةِ كُرَةِ سَلَّةٍ أُقيمت بين فَريقَيْنِ لبنانيَّين، واحِدٍ سُنّي وآخَرَ أرمنيٍّ، في ٨ كانون الثاني ٢٠١٧، لم يَجِدْ مُشَجِّعو الفَريقِ السُّنيّ ما يُغيظونَ به خُصومَهُم سِوى رَفْعِ العَلَمِ التُّرْكي! **البلد**، ١٠ كانون الثاني ٢٠١٧.

بِوَصْفِـهِ اتِّفـاقَ الطّائِـفِ إنَّمـا هُـوَ باقَـةٌ مِـنَ الأحْـداثِ ومِـنَ التَّواريـخِ المُتَزاحِمَـةِ، لا يَـوْمٌ واحِـدٌ تَكَثَّـفَ فيـهِ الصَّـرْمُ بيـنَ «قَبْـلٍ» و«بَعْـدٍ»، ولا مُصافَحَـةٌ تاريخيَّـةٌ بَيْـنَ عَدُوَّيْـنِ لَدودَيْـنِ يَبْـدأُ مَعَهـا عَهْـدٌ، يُـرادُ لَـهُ أنْ يَكـونَ جديـدًا مِـنَ التَّسـالُمِ بيـنَ جماعَتَيْـن عَدُوَّتَـيْن.

كذَلِـكَ، فَلَقَـدْ لَـزِمَ هـذا الاتِّفـاقَ ذا المَخـاضِ الطَّويـلِ رُغْـمَ انْعِقـادِ العَـزْمِ علـى اسْـتيلادِه[٢] ــ لَزِمَـهُ، لِيَسْـتَتِبَّ العَمَـلُ بـهِ، نَظَرِيًّـا علـى الأقَـلِّ، فـي عِـدادِ أمـورٍ أُخْـرى، اغْتِيـالَ رَئيـسِ جُمْهوريَّـة[٣]، وحَرْبًـا يَصِفُهـا أصحابُهـا بِالـ«أخَويَّـةِ»[٤]، وعمليَّـةً عَسْـكريَّةً لبنانيَّـةً\ سـوريَّةً مُشْـتَرَكَة لِـ«فَتْـحِ» القَصْـرِ الرِّئاسِـيِّ اللبنانـيِّ! مَقُـولُ القَـوْلِ: لَـزِمَ الاتِّفـاقَ لِيَسْـتَتِبَّ العَمَـلُ بـهِ المَزيـدَ مِـنَ الحَـرْبِ...

(٢) يُشيرُ جورج سعادة في مُذَكِّراتِهِ إلى أنَّ «تأشيراتِ السَّفَرِ التي أُعْطِيَت للنُّوّابِ من قِبَلِ السُّلْطاتِ السُّعوديَّةِ كانَتْ لأرْبَعَةِ أيّامٍ اعْتِقادًا مِنْهُم أنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُتَوافَقٌ عَلَيْه...»، **قِصَّتي مع الطائف**، ص. ١٤١.

(٣) لَيْسَ بالتَّفْصيلِ العابِرِ أنَّ الرِّوايَةَ التي تُريدُ أنَّ رَئيسَ الجُمْهوريَّةِ رينيه معوض قُتِلَ بِتَدْبيرٍ مِنَ النِّظامِ الأسَدِيِّ، وهِيَ الرِّوايَةُ التي رُفِعَ الحَظْر عنها بعد ٢٠٠٥، لم تَسْتَدْعِ الإنْكارَ، أو المُساءَلَةَ، حتّى مِنْ أصْدِقاءِ هذا النِّظامِ اللبنانيّين.

(٤) شأنَ ما تَقَدَّمَ، لَيْسَ بالتَّفْصيلِ العابِرِ أنَّ «المُصالَحَةَ» بين طَرَفَي هذهِ الحَرْب، الحَرْبِ المَعْروفَةِ بـ«حَرْب الإلْغاء» وهو الاسْمُ الذي أطْلَقَتْهُ عَلَيْها «القُوّاتُ اللبنانيَّةُ»، والإعْلانَ الرَّسْمِيَّ بأنَّها انْتَهَت، لم يَتَحَقَّقا إلّا في ١٨ كانون الثاني ٢٠١٦! في أيِّ حالٍ، مِنْ أفْكَهِ سِماتِ هذه المُصالَحَةِ بين «القُوّات اللبنانيَّة» و«التَّيّار الوَطَنِيّ الحُرّ» أنَّها انْعَقَدَتْ بَيْنَ طَرَفَيْنِ لم يَتَقاتَلا! فـ«حَرْبُ الإلْغاء» دارَتْ بَيْنَ «القُوّات اللبنانيَّة» وبَيْنَ جَناحٍ مِنَ الجَيْشِ اللبناني دانَ بالوَلاء لِقائِدِهِ آنذاكَ، العِمادِ ميشال عون! وكما أنَّ «التَّيّار الوطنيّ الحُرّ» لَيْسَ مُفَوَّضًا مِنَ الجَيْشِ اللبنانيّ التَّصالُحَ باسْمِه، فهو لَيْسَ الوَريثَ الحِزْبِيَّ لـ«الحالة العونيَّة» إلّا بالمَعْنى المَجازِيِّ؛ فالعِمادُ عون خاضَ تِلْكَ الحَرْبَ باسْمِ «الشَّرْعِيَّةِ» ولَيْسَ باسْمِ قِسْمٍ مِنَ المَسيحيِّين، في حين أنَّ المُصالَحَةَ بين «القوّات اللبنانيَّة» و«التَّيّار الوَطَنِي الحُرّ» اصْطَنَعَت صورةَ مُصالَحَةٍ بَيْنَ فَريقَيْنِ مَسيحيَّيْن ــ وهو الأقْرَبُ إلى الحَقيقَة!

«وما الحَرْبُ، على ما يقولُ قائِلُهُم، إلّا ما عَلِمْتُم وَذُقْتُمْ»...[٥]

مِنْ نافِلِ القولِ إنَّ كُلَّ واقِعَةٍ مِنْ هذهِ الوقائِعِ، وسِواها مِنَ الحادِثاتِ، جَديرَةٌ بالتَّوَقُّفِ عِنْدَها، وبالتَّمَلّي مِنْها، ولكنْ جديرٌ أيضًا أنْ يَسْتَذْكِرَ المرءُ المُلابساتِ التي هَيَّأتْ لِمُؤْتَمَرِ الطّائِفِ أنْ يَنْعَقِدَ ولِـ«وَثيقَةِ الوِفاقِ الوَطَنِيِّ» أن تُقَرَّ على يَدِ مَجْموعَةٍ مِنْ نُوّابِ الشَّعْبِ اللبنانيِّ كانَ انْتِخابُهُم في عامِ ١٩٧٢، أي قَبْلَ أن انْدَلَعَت «الحَرْبُ» بِنَحْوِ ثلاثِ سنواتٍ! ولعلَّ الأقَلَّ مِنْ فَضائِلِ هذا الاسْتِذْكارِ التَّنْبيهُ على أنَّ النَّصَّ، أيَّ نَصٍّ، ولوِ اتُّخِذَ دُسْتورًا، إنَّما هو لِلْفِراشِ الذي يُولَدُ فيه.

قَبْلَ قَليلٍ مِن انْقِضاءِ ٢٢ أيلول ١٩٨٨، اليَوْمِ الأخيرِ مِنْ وِلايَةِ أميـن الجميّل الرِّئاسِيَّةِ، وَقَّعَ الجميّل مَرْسومَيْنِ اثنَيْنِ: بمُوجِبِ الأوَّلِ مِنْهُما كَلَّفَ قائِدَ الجَيْشِ العمادَ ميشال عون تأليفَ الحُكومَةِ «مَعَ الاحْتِفاظِ بِرُتْبَتِهِ العَسْكَرِيَّةِ في الجَيْش»، وبمُوجِبِ الثّاني ألَّفَ حُكومَةَ

(٥) أيْضًا، لَيْسَ بالتَّفْصيلِ العابِرِ أنَّ ميشال عون، رئيسَ الجُمْهوريَّةِ، تَحاشى في الخِطابِ الذي ألْقاهُ في ٦ تشرين الثاني ٢٠١٦ تَسْمِيَةَ الطَّرَفِ الذي قادَ تِلْكَ العَمَلِيَّةَ العَسْكَرِيَّة. ويَزيدُ من نَكْهَةِ هذا التَّفْصيلِ أنَّ الجُمْهورَ الذي احْتَشَدَ يَوْمَذاكَ في قَصْرِ بعبدا الرِّئاسي للاحْتِفالِ بانْتخابِ عون رئيسًا هو جُمهورٌ عَوْنِيٌّ بامْتِياز، وأنَّ قَصْرَ بعبدا الرِّئاسيَّ اسْتَعَادَ في ذلكَ اليَوْم، تَسْمِيَةَ «بَيْت الشَّعْب» التي أطْلَقَتْها عليه خِلالَ «حَرْب التَّحْرير» آلَةُ الدِّعايَةِ العونيَّة. مِنْ تَوْرِياتِ ذلك الخِطاب: «لقد عَرَفْتُكُم هذه السّاحَةُ على مدى سَنَتَيْن، ولم تَتْركوها أبدًا، في أحْرَجِ الظُّروف. ولكنْ، مَعَ الأسَف، فإنَّ لُعْبَةً دَوْلِيَّةً كبيرةً هي التي انْتَصَرَت علينا، وسَمَحَتْ لجنودٍ غَيْرِ لُبنانيين باقْتِحامِ بَلَدِنا. [لقد] اسْتفادَ الغَريبُ من هذا الوَضْعِ كي يُكْمِلَ حَرْبَهُ علينا. وكُلُّنا لا يَزالُ يَذْكُرُ الطَّيَرانَ الغَريبَ كَيْفَ كانَ يُحَلِّقُ في حينِهِ ويَحْمي بَعْضَهُ البَعْض».
أطْلُبُ نَصَّ الخِطاب على مَوقع رِئاسَة الجُمْهوريَّة.

العِمادِ عون التي أُعْلِنَت سُداسيَّةً ثُمَّ لَمْ تَلْبَثْ، مَعَ اسْتِقالةِ أعْضائِها المُسْلمين، أنْ تَحَوَّلَت إلى ثُلاثيَّة.

مِنْ يَوْمِذاكَ حتّى ١٣ تشرين الأوَّل ١٩٩٠، تاريخِ العَمَليَّةِ العَسْكَرِيَّةِ التي أنْهَتْ ما سُمِّيَ لاحقًا بـ«التَّمَرُّد»[٦]، وأَخْرَجَتْ ميشال عون مِنْ قَصْرِ بعبدا إلى السِّفارَةِ الفَرَنْسِيَّةِ ومِنْها إلى مَنْفاهُ الفَرَنْسيّ، عاشَ لبنانُ، عَمَليًّا، في ظِلِّ حُكومَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ رَأَسَ إحْداهُما العِمادُ ميشال عون ورَأَسَ الأُخْرى الدّكتور سليم الحصّ. وللتَّذْكيرِ، لَيْسَ إلّا، فإنَّ تَبَوُّؤَ الحصِّ هذا المَنْصِبَ لم يَجْرِ في ظُروفٍ تَتَدَنّى اسْتِثْنائِيَّةً عن الظُّروفِ التي بَوَّأت عون المَنْصِبَ نَفْسَه. ففي الأوَّلِ من حزيران ١٩٨٧ انْفَجَرَتْ عُبْوَةٌ ناسِفَةٌ في طَوّافَةٍ كانَ يَسْتَقِلُّها رَئيسُ الحُكومَةِ، رَشيد كرامي، من طرابلس إلى بيروت، (بِسَبَبِ مِنْ تَعَذُّرِ التَّنَقُّلِ البَرِّي لِدَواعٍ أمْنِيَّة)، فَقُتِلَ كرامي وشَغَرَتِ الرِّئاسَةُ الثّالِثَة. اسْتِدْراكًا على هذا الشُّغور الدَّمَويِّ، سَمّى رَئيسُ الجُمْهورِيَّةِ أمين الجميّل الوَزيرَ

(٦) الأرْجَحُ أنَّ دُخولَ لَفْظَةِ «تَمَرُّد» لِوَصْفِ حالَةِ العماد عون بَدَأَ مع «الإنْذارِ» الذي وَجَّهَهُ إليه ثاني رؤساءِ جُمْهوريَّةِ الطّائِف الياس الهراوي بُعَيْدَ أيّامٍ على انْتخابِهِ. ففي بَيان نُشِرَ في ٢٧ تشرين الثّاني ١٩٨٩، تَمَنَّتْ رِئاسَةُ الجُمْهوريَّة «أنْ تكونَ لُغَةُ المَحَبَّةِ هي الجامِعَةُ لِكُلِّ اللبنانيّين بِحَيْثُ لا تُصْبِح لُغَةُ المَدْفَعِ هي المُسْتَعْمَلَةُ في مُواجَهَةِ العِصيانِ والتَّمَرُّد»، **النَّهار**، ٢٨ تشرين الثاني ١٩٨٩.

السُّـــنِيَّ الآخَرَ في حُكومَةِ كرامي العَشْـــرِيَّةِ، ســـليم الحصّ، خَليفَةً، بالوكالـــة، لِكرامي في رئاسَـــةِ الحُكومَةِ، وفـــي وزارةِ الخارِجِيَّةِ التي كانَ يَتَوَلّاهـــا الرَّئيسُ القَتيـــل[٧]. ولَكِنَّ هذه الخِلافَةَ لَـــمْ تَكُن اسْـــتِثْنائِيَّةً بِلِحاظِ الظُّروفِ القاهِـــرَةِ التي أجـــاءَتْ إليها فقـــط... ففي الرّابِعِ مِنْ أيّار مِنَ السَّـــنَةِ نَفْســـها، (لأسابيعَ قَبْـــلَ حادِثَةِ الاغْتِيـــال)، كان رشـــيد كرامي قَد اسْتَـــقالَ مِنْ مَنْصِبِهِ، وبِنـــاءً عَلَيْه، فَلَقَدْ خَلَفَ الحصُّ في رِئاسَـــةِ الحُكومَـــةِ، بالاعْتِبارِ السِّياسِـــيِّ، رَئيسَـــها القَتيـــلَ المُسْتَـــقيل!

في ما بَيْـــنَ ذَيْنِـــكَ التّارِيخَيْـــن، المُنْتَصَفِ مِـــنْ لَيْلِ ٢٢ أيلول ١٩٨٨ و١٣ تشـــرين الأوَّل ١٩٩٠، لَمْ يَمُـــرَّ يَوْمٌ واحِدٌ، حَرْفِيًّـــا ومَجازِيًّا، على لبنـــانَ، بِسَـــلام؛ غَيْرَ أنَّ «قِلَّةَ السَّـــلام» هـــذه لَـــمْ تَكُـــنْ بَيْـــتَ القَصيد؛ بـــل لَقَدْ يَصِحُّ أنْ يَذْهَـــبَ المَرْءُ حَدَّ القَـــوْلِ إنَّ تَوَلّيَ حكومَتَيْـــنِ اثْنَتَيْنِ حُكْمَ لبنانَ وإدارَةَ شُـــؤونِ اللبنانييـــنَ، عِلاوَةً، بالطَّبْـــعِ، على «حُكوماتِ الظِّـــلِّ» الحِزْبِيَّةِ، لَـــمْ يَكُنْ، بِـــدَوْرِه، العُقْدَة.

بَيْـــتُ القَصيـــد، بِشَـــهادَةِ مـــا يُمْكِـــنُ أيُّمـــا

(٧) الارْتِباكُ في صِياغَةِ نَصِّ المَرْسومِ الذي كُلِّفَ الحُصُّ بِمُوجِبِه رِئاسَةَ الحُكومةِ سَبَبٌ كافٍ للوقوفِ عِنْدَهُ ومطالعته:

«مرسوم رقم ٣٩٣٦

تاريخ ١ حزيران ١٩٨٧

بِسَبَبِ وَفاةِ دَوْلَةِ رئيسِ مَجْلِسِ الوزراءِ المَغْفورِ له رشيد كرامي، وسَنَدًا لِضرورةِ تَأمينِ المَصْلَحَةِ العامَّةِ واسْتمرارِ العَمَلِ في المَرافِقِ العامَّة، وسَنَدًا للظُّروفِ الاسْتِثْنائِيَّة،

مادَّة ١: يُسَمّى دَولةُ الرَّئيسِ الدكتورُ سليم الحصّ، وَزيرُ العَمَلِ والتَّرْبِيَةِ الوَطَنِيَّةِ والفُنونِ الجَميلة في وِزارَةِ دَوْلَةِ الرَّئيسِ المَغْفورِ له رشيد كرامي المُسْتَقيلَةِ، رَئيسًا للحُكومَةِ بالوِكالة لِتَأمينِ تَصْريفِ الأعْمالِ رَيْثَما يَتِمُّ تأليفُ حُكومَةٍ جديدة.

مادَّة ٢: يُعْمَلُ بهذا المَرْسومِ فَوْرَ نَشْرِهِ لَصْقًا على مَدْخَلِ مَقَرِّ رِئاسَةِ الحُكومة.

الجريدة الرَّسميَّة، رقم ٢٤، ١١ حزيران ١٩٨٧.

أحَـدٍ أن يُطالِعَـهُ فـي فـي الجَرائِـدِ وغَيْرِهـا مِـنَ المَصـادِرِ المَفْتوحَـةِ المُتاحَـةِ للفُضـولِ العـامِّ هـو مـا شُـحِنَ بـهِ الانْقِسـامُ اللبنانـيُّ السِّياسِـيُّ والمُؤَسَّسـاتيُّ مِـنْ شِـحْنَةٍ إقْليميَّـةٍ عُنوانُهـا احْتِـدامُ التَّزاحُـمِ بَيْـنَ دِمَشْـقَ وبغـدادَ علـى خَلْفِيَّـةٍ مِـنْ تَطَـوُّراتِ حـربِ الخَليـجِ الأولـى وسِـواها مِـنْ أسْـبابِ التَّنافُـسِ التّاريخـيِّ بَيْـنَ البَعْثَيْـن[٨].

بَيْـنَ يَـدَيْ واقِـعِ الحـالِ هـذا التـأمَ فـي تُونِـسَ، يَـوْمَ ١٢ كانـونَ الثّانـي ١٩٨٩، اجتمـاعٌ لِـوزراءِ الخارِجيَّـةِ العـربِ أفضـى إلـى تأليـفِ لَجْنَـةٍ سُـمِّيتِ «اللجنَـةَ العَرَبِيَّـةَ للاتِّصـالِ والمسـاعي الحميـدةِ لِلُبنـان» برئاسـةِ وزيـرِ خارجيَّـةِ الكويـت وعُضْويَّـةِ السّـودان، وتونِـس، والجزائـر، والأُردن والإمـاراتِ العربيَّـةِ المُتَّحِـدَة[٩]. وإذ تألَّفَـتِ اللجنـةُ علـى هـذا النَّحْـوِ فاسْـتِجابَةً للشَّـرْطِ العِراقـيِّ بِـأنْ يُضَـمَّ العِـراقُ إلـى عُضْوِيَّتِهـا إذا مـا ضُمَّـتْ سـوريا[١٠].

مَضَتْ هـذهِ المُبادَرَةُ على رِسْـلِها و«عَقَدَت [اللَّجْنَـةُ فـي تُونِـس] اجْتِماعـاتٍ مُتتاليةً

(٨) لا بَأسَ مِنَ التَّذْكيرِ بأنَّ العِراقَ سارَعَ إلى اعْتِبارِ حُكومَةِ العِماد عَون الحَكومةَ الشَّرْعِيَّةَ في لبنان. بَلْ ذَهَبَ النّائِبُ الأوَّلُ لرئيسِ الوُزراءِ العِراقيّ أيّامذاك، طه ياسين رمضان، إلى التَّصْريحِ بأنَّ «وِزارةَ [سليم] الحُصّ لَيْسَ لها سَنَدٌ قانونيٌّ وهي وِزارةٌ مُسْتَقيلةٌ...» ما اسْتَدْعى ردًّا سوريًّا، وهكذا دواليك؛ (**النَّهار**، ١٠ تشرين الأوَّل ١٩٨٩). لِلْفُكاهَةِ لَيْسَ إلّا، لا بأسَ مِنَ التَّذكيرِ أيْضًا أنَّهُ بَعْدَ أيّامٍ على كَلامِ رمضان، صَرَّحَ وزيرُ الخارِجِيَّةِ العِراقِيُّ أيّامذاك، طارق عزيز، بأنَّه «بَعْدَ ١٢ سَنَةً من الوجودِ السُّوريِّ في لبنانَ، نَسْتَنْتِجُ أنَّ البَلَدَ مُهَدَّدٌ في وَحْدَتِهِ واسْتِقْلالِهِ. إنَّ لُبنانَ هو ضَحِيَّةُ تَلاقي المَصالِحِ الصَّهْيونيَّةِ والسّوريَّة...»، **النَّهار**، ١٣ تشرين الأوَّل ١٩٨٩.

في العَلاقاتِ بين العِمادِ عون والقِيادَةِ العِراقيَّة، أنظر المَلَفّ الذي نَشَرَتْهُ جَريدةُ **المستقبل** في ٢٠١١ عن العِماد عون تَحْتَ عُنْوان «ميشال عون مِنَ الأسَدِ الأبِ إلى الأسَدِ الإبن»، ولا سِيَّما الحَلْقَتَيْن الثّالِثَة والرّابِعَة؛ (٢٠ و٢٢ تشرين الأوَّل ٢٠١١).

(٩) **النَّهار**، ١٣ كانون الثّاني ١٩٨٩.

(١٠) **النَّهار**، ٧ كانون الثّاني ١٩٨٩.

مَعَ كُلٍّ مِـنَ العِمادِ عون و[رَئيسَـيْ مَجْلِسِ النُّـوابِ والحُكومَـة حُسـينِ] الحُسـيني و[سـليم] الحصّ، وقد حاوَلَـتْ [...] جَمْعَهُم علـى طاولـةٍ واحِـدةٍ، ولَـوْ علـى مائِدَةِ طعـام»[11]، فلَـمْ تُفْلِحْ، وفَشِـلَتْ فَشَـلًا أَمْكَـنَ، على ما يَبْدو، تَكَـبُّدُهُ إلـى أنْ كانَ ١٤ آذار ١٩٨٩. فيومـذاك أعْلَنَ رَئيسُ إحدى الحكومَتَيْـنِ، قائـدُ الجيش، العمادُ ميشـال عـون، حَرْبًـا أطْلَـقَ عليهـا اسْـمَ «حَرْبَ التَّحْريـر» أرادَ مِنْها إخْراجَ الجيشِ السُّـوريِّ مِـنْ لبنـان[12]. وليسـتْ فَـرادَةُ «حَـرْبِ التَّحْريرِ» في اسْـمِها، ولا في مـا رَمَتْ إليهِ مِـنْ مَرْمًى كانَ، للحَقيقَةِ، مَحَلَّ تَشَـوُّقٍ كثيرٍ مِـنَ اللبنانيينَ، وإنَّمـا في ما عَنـاهُ إعْلانُها مِنْ رَبْطٍ مَيْدانِـيٍّ بينَ «السّـاحَةِ اللبنانيَّةِ» وبين صِـراعِ دمشـقَ وبغداد.

(١١) الدّكتور جورج سعادة، **قِصَّتي مع الطّائف**، بيروت ١٩٩٨، ص. ٢٤.

(١٢) **النَّهار**، ١٥ آذار ١٩٨٩.

آذَنَ إعْـلانُ هـذهِ الحَـرْبِ بـأنَّ شـيئًا مـا يَسْـتَدْعي التَّدَخُّـلَ السَّـريعَ قـدْ جَـرى، وعليـهِ فمّـا هِـيَ أنْ دَخَـلَ أيّـار ١٩٨٩ حتّـى دُعِـيَ إلـى قِمَّـةٍ «غيـرِ عاديَّـةٍ» للبَحْـثِ فـي الأزمَـةِ اللبنانيَّـة.

انْعَقَــدَتْ تلــكَ القِمَّةُ فــي الــدّارِ البَيْضاءِ وخَلَصَــتْ مُداوَلاتُهــا إلى الاسْــتِعاضةِ عَنِ اللَّجْنَةِ السُّداســيَّةِ الآنِفَةِ الذِّكْــرِ بلجنةٍ ثُلاثيَّةٍ سُــعوديَّةٍ\مغربيَّةٍ\جزائريَّةٍ علــى أرْفَــعِ ما يَكونُ، (حَــيْثُ إنَّهــا تألَّفَتْ مِــنَ المَلِكَيْنِ المغربِيِّ والسُّــعوديِّ ومِنْ رئيسِ الجُمهوريَّةِ الجزائريَّــة)، وخُوِّلَتِ «الصَّلاحِيّاتِ الشّــامِلَةَ والكامِلَــةَ [...] لِحَلِّ الأزْمَــةِ اللبنانيَّة»[١٣]. لَمْ تُقْتَصَــرْ قَــراراتُ هــذهِ القِمَّةِ على إنْشــاءِ اللَّجْنَــةِ المذكورةِ بَلْ جاءَتْ هــذهِ القراراتُ أقْرَبَ إلى خَريطَــةِ طَريقٍ واضِحَــةِ المَعالِمِ والمَراحِلِ لِـ«إنْهاءِ الحَرْب».

فَــوَّضَ المَلِكانِ والرَّئيــسُ، أعْضــاءُ الثُّلاثيَّةِ، إلى وزَراءِ خارجيَّــتِهِم العَمَلَ علــى تَنْفيذِ خَريطَــةِ الطَّريــقِ، فَحاوَلَ هؤلاءِ مــا حاوَلوا ولكــنَّ جُهودَهُم بــاءَتْ بالفَشَــل. وبِخِلافِ ما يَكــونُ في مِثْــلِ هــذهِ المَواقِــفِ، لَمْ تَــتَكَــتَّمْ لَجْنَــةُ وزراءِ الخارِجِــيَّةِ على ما انْتَهَــتْ إلَيْــهِ تلك الجُهــودُ، بَلْ قُــلْ ما لَمْ تَنْتَهِ إلَيْه، بَلْ أشْــهَرَتْهُ يــومَ ٣١ تَمّوز ١٩٨٩ في بَيانٍ رَسْــمِيٍّ أعْلَــنَتْ فيهِ فَشَــلَها في

(١٣) «أمّا بِخُصوصِ المَوْقِفِ العِراقِيّ، فإنَّ طارق عزيز، كَانَ قَدْ وجَّه اللَّوْمَ لِبَعْضِ الوزراءِ في الاجْتِماعِ الأخير [مِن اجْتِماعات القِمَّةِ]، بِحُجَّةِ أنَّهُم لا يَقولونَ في الدّاخِلِ ما يَقولونَهُ في الخارِج، وبالتَّحْديدِ بالنِّسْبَةِ إلى مَوْقِفِهِم مِنَ الدَّوْرِ السّوري في لُبنان. إلّا أنَّ هذا المَوْقِفَ تَصاعَدَ بِعَدَمِ حُضورِ الرَّئيسِ العِراقيّ الجَلْسَةَ الخِتامِيَّة، بَعْدَ أنْ اعْتَرَضَ على تَشْكيلِ اللَّجْنَة الثُّلاثيَّة، مِنْ دونِ عِلْمِه [...]، **السَّفير** ٢٧ أيّار ١٩٨٩.

«تَحْقيقِ وَقْفِ النّارِ، والإصْلاحاتِ السِّياسـيَّةِ الضَّروريَّةِ لإنْهـاءِ الحَرْبِ»، كمـا أعْلَنَتْ أنَّها «سَتُـقَدِّمُ تَقْريـرًا كاملًا إلى زُعَمـاءِ الدُّوَلِ الأعْضاءِ فـي اللَّجنـةِ الثُّلاثـيَّةِ لِمَعْرِفَةِ ما الذي يُمْكِـنُ عَمَلُـهُ لمُسـاعَدَةِ لبنانَ على الخُروجِ مِـنْ مُعاناتِهِ»[١٤]، وتَنْقُـلُ **النَّهارُ** عَنْ وِكالَـةِ رويترز «عنْ ديبلوماسـيٍّ كَبيرٍ قَريبٍ مِنَ المُحادَثاتِ أنَّ فَشَـلَ اللَّجْنَـةِ مَرَدُّهُ إلى عَوامِـلَ عِدَّةٍ، مِنْهـا الخِلافـاتُ القائِمَةُ مُنْذُ مُـدَّةٍ طَويلةٍ بينَ العراقِ وسـوريا، والاحْتِلالُ الإسْـرائيليُّ لِجُـزْءٍ مِنْ جَنوبِ لُبنـانَ، وعَدَمُ قُـدْرَةِ اللبنانيّيـنَ على الاتِّفـاقِ على إصْلاحِ نِظامِهِم السِّياسيِّ الطّائفيّ»[١٥].

(١٤) **النَّهار**، ١ آب ١٩٨٩.

(١٥) **المصدر نفسه.**

على مـا يَتَوَقَّعُ المَـرْءُ، رافقَ هذا الفَشَـلَ، والإعْـلانَ عَنْـهُ، تَمادٍ فـي انْسِـدادِ الأُفْقِ، واشْـتِدادٌ في حِـدَّةِ المُواجَهاتِ العَسْـكريَّةِ لم يَبْـقَ مَعَـهُ أمـامَ الثُّلاثيَّةِ، ومـا كانَتْ تُمَثِّلُـهُ من اجْتِمـاعِ إراداتٍ إقْليميَّـةٍ تُبارِكُهُ القُوى الكُبـرى إلّا «الكيُّ السِّـلْميّ».

وهَكَـذا، فـي ١٦ أيلـول ١٩٨٩، علـى خِتـامِ الـدَّوْرَةِ الثّانِيَـةِ والتِّسْـعينَ لاجْتِمـاعِ مَجْلِـسِ

جامِعَـةِ الـدُّوَلِ العَرَبِيَّـةِ علـى مُسْـتَوى وزراءِ الخارِجِـيَّة، «أعْلَنَـت اللَّجْنَـةُ الثُّلاثيَّـةُ العَرَبِيَّـةُ فـي بَيـانٍ أذاعَـهُ وَزيـرُ الخارِجِيَّـةِ السُّـعوديُّ خِطَّـةً مِـنْ سَـبْعِ نِقـاطٍ لإنْهـاءِ القِتـالِ فـي لبنـانَ والبَـدْءِ بمَسـيرةِ الإصْـلاحِ السِّياسِـيّ». وإذْ نَـصَّ البَنْـدُ السّـادِسُ مِـنْ هـذه النِّقـاطِ علـى «تَوْجيـهِ الدَّعْـوَةِ إلـى أعْضـاءِ مَجْلِـسِ النُّـوّابِ اللُّبنانِـيِّ للاجْتِمـاعِ لإعْـدادِ وَثيقَـةِ الوِفـاقِ الوَطَنِـيّ[١٦] ومُناقَشَـتِها»، فـإنَّ هـذه الخِطَّـةَ لـم تَـأْتِ علـى ذِكْـرٍ لانْسِـحابِ القُوّاتِ الأجْنَبِيَّـة مِـنْ لبنـان!

(١٦) فـي ٣١ آب ١٩٨٩ نَشَـرَت **النَّهـار** نَصًّـا لِمَشْـروعِ وَثيقـةِ الوِفاقِ الوَطَنـيّ الـذي أعَدَّتْـهُ الثُّلاثيَّـةُ، وفي ١٨ أيلـول ١٩٨٩، نَشَـرَتْ مُسَـوَّدَةً مُعَدَّلَـةً لهـذا النَّـص.

الشّـاهِدُ مِمّـا تَقَـدَّمَ هـوَ فَرَضِيَّـةٌ مُفادُهـا أنَّ الأسْـبابَ المُوْجِبَـةَ لانْعِقـادِ مُؤتَمَـرٍ مِـنْ قَبيـلِ الطّائِـفِ لـمْ تُـلِـحَّ بِسَـبَبٍ مِنَ اسْـتِمْرارِ «الحَـرْبِ»، بالمَعْنـى العـامِّ للكَلِمَـةِ، أوْ بِسَـبَبٍ مِـنَ الفَـراغِ الرّئاسـيِّ[١٧]، أوْ بِسَـبَبٍ مـن قِيـامِ حكومَتَيْـنِ، أو مـا يُعـادِلُ مـا تَقَدَّمَ مِنْ أسـبابٍ «لبنانِيَّـة»، وإنَّمـا ألَحَّتْ عِنْدَمـا اتَّخَذَت الحَرْبُ فـي لبنـانَ أبْعـادًا تَجـاوَزَتْ بَقاءَ هـذا البَلَدِ في مُجَـرَّدِ «حالَـةِ حَـرْبٍ»، وعِنْدَمـا هَـدَّدَتْ هـذه الأبْعـادُ التَّـوازُنَ والأمْـنَ الإقْليمِيَّيـن.

(١٧) المَقْصودُ، بالطَّبْـعِ، الفـراغُ الرِّئاسـيُّ الـذي بَـدَأ فـي ٢٣ أيلـول ١٩٨٨ مَـعَ انْتِهـاءِ ولايَـةِ الرئيـس أميـن الجميّـل. فـي أيِّ حـال، حَـقُّ الفَراغـاتِ الرِّئاسِـيَّةِ فـي لبنان، شَـأنَ سِـواها مِـنْ أعْطـالِ «النِّظـامِ»، بَحْثًـا علـى حِـدَةٍ يَعْـرِضُ لمُلابسـاتِ إنْهـاءِ كُلِّ واحِـدٍ مِنهـا.

أمّا الشّـــاهدُ مِـــنْ هـــذا الشّـــاهدِ فَفَرَضِيَّةٌ أوْسَـــعُ، بِرَسْـــمِ أنْ تُمتَحَنَ صِحَّتُهـــا، مُفادُها أنَّ كُلَّ المُحـــاوَلاتِ التـــي أُرْفِقَـــتْ بـ «صِيَغٍ تَنْفيذِيَّـــةٍ» لإنْهـــاءِ الحُـــروبِ فـــي لبنـــانَ، بِمـــا فيهـــا الحُـــروبُ الصَّغيـــرةُ، أوْ حتّـــى لإخْـــراجِ لبنانَ مِنْ أزَمـــاتٍ تُوْصَـــفُ تَلْطيفًا بِـ«السِّياســـيَّةِ» كانَتْ، ولا تَـــزالُ، رَجْعَ صدىً لتَطَوّراتٍ أوْ لإلْحاحـــاتٍ أوْ لِمَقاصِدَ إقليميَّةٍ\دَوْليَّـــةٍ، أوْ أقلُّهُ «ذاتِ وَجْـــهٍ» إقْليمِيٍّ\دَوْلِيٍّ، أوْ قُلْ، بِـــكَلامٍ آخَـــرَ، إنَّ الأسْـــبابَ المُوْجِبَةَ لهذهِ المُحـــاوَلاتِ قَلَّما كانَـــتْ «لُبنانيَّةً»، أوْ لَبَّتْ نُزوعًـــا لبنانـــيًّا حَقيقيًّا إلـــى التَّوَصُّلِ إلى تَسْـــوِيَةٍ تَسْتَـــتِبُّ مَعَها، أو تَـــبْدَأُ مَعَها بالاستِـــتْبابِ، حَياةٌ سِياسِـــيَّةٌ جَديـــرَةٌ بهذا الاسْـــمِ ولا يَحْتـــاجُ اللبنانيّونَ مَعَهـــا، الجَوْلَةَ تِلْـــوَ الجَوْلَةِ، إلى اكْـــتِشافِ البـــارودِ، على المَجـــازِ والحَقيقَـــةِ معًا!

لا شَـكَّ فـي أنَّ قَوْلَنـا هـذا، لا سِـيَّما مـا يَنْطَوي عَلَيْـهِ مِـنْ تَعْميـم، يَظْلِـمُ لبنانِيّينَ\البنانيّـاتٍ كُثُـرًا سَـعَوْا صادِقيـنَ، وَمِنْهُـم مَـنْ يَمْضـي فـي سَـعْيِهِ بِـلا كَلالَـة، إلـى تأصيـلِ مَفْهـومِ

«التَّسْـوِيَةِ السِّياسـيَّةِ» بَيْـنَ اللبنانِيّيـن، وإلـى نَشْـرِ مُفْـرداتِ هـذا المَفْهـومِ وتَعْميمِهـا، ولكـنَّ الاعْتِـرافَ بِأفْضـالِ هَـؤلاءِ شَـيْءٌ، وَوَزْنَ هـذهِ الأفْضـالِ فـي ميـزانِ الوَقائِـعِ شَـيْءٌ آخَـرُ، ومِـنْ سـوءِ الحَـظِّ أنَّ كَفَّـةَ هـذا الميـزانِ تُرَجِّـحُ مـا تَقَـدَّمَ مِـنْ أنَّ الأسْـبابَ المُوْجِبَةَ لمُحـاولات «حـلّ النِّـزاع» فـي لبنـانَ قَلَّمـا لَبَّـتْ نُزوعًـا لبنانـيًّا حَقيقيًّـا إلـى ذلـك.

فـي مـا يأتـي مِـنْ هـذهِ العُجالَـةِ إلْماحـاتٌ سَـريعَةٌ إلى البَعْـضِ مِنْ هذه المُحـاولاتِ، غير أنَّ الماضِـي اللبناتـي، القَريـب مِنْـهُ والبَعيـدَ، لَيْـسَ المِظَنَّـةَ الوَحيـدَةَ التـي تُطْلَـبُ فيهـا المَصاديـقُ على ذلـك؛ في الحاضِـرِ أيضًا يُمْكِنُ المَـرْءَ أنْ يَطْلُـبَ نَمـاذِجَ عليهـا. ولَعَـلَّ أقْـرَبَ هـذهِ النَمـاذِجِ عهـدًا: انْتِخـابُ العمـادِ ميشـال عـون فـي ٣١ تشـرين الأوَّل ٢٠١٦، بَعْـدَ نَحْـوِ سَـنَتَيْنِ ونِصْـفِ السَّـنَةِ مِـنْ شُـغورٍ رِئاسـيٍّ بَدَأَ مَـعَ انْتِهاءِ وِلايةِ سَـلَفِهِ العِمادِ ميشـال سـليمان فـي ٢٥ أيّـار ٢٠١٤، عِلْمًـا أنَّ انْتِخـابَ هـذا الأخيـرِ للسُّـدَّةِ الأولـى لَـم يَتَـدَنَّ، فـي شَـيءٍ، قَيْصَرِيَّـةً عـن انْتِخـابِ خَلَفِـه! (وَلَرُبَّمـا نُعَـرِّجُ

علـى هـذا «الانْتِخـابِ» فـي مَوْضِـعٍ لاحِـقٍ مِنْ هـذه العُجالَـة).

وإذْ مـا يُسْـتفادُ مِـنْ هـذهِ المَصاديـقِ أيْضًـا وأيْضًـا، فـإنَّ «الأزَمـاتِ السِّياسِـيَّةَ» فـي لبنـانَ مُنْـذُ عـامِ ٢٠٠٥، أيْ مُنْـذُ أنْ كُفَّـتْ يَـدُ دِمَشْـقَ عَـن التَّحَكُّـمِ المُباشَـرِ في شُـؤونِ هذا البَلَـدِ، باتَـتْ شَـيْئًا هَجينًـا يَأْخُـذُ مِـنَ «الأزْمَـةِ السِّياسـيَّةِ» بِطَـرَفٍ ومِـنَ «الحَـرْبِ» بِطَـرَفٍ آخَـرَ، وباتَـتْ، مِـنْ ثَـمَّ، تَقْتَضـي لاحْتِوائِهـا أشْـكالًا مِـنَ الحُلولِ\التَّسْـوِياتِ لا تَتَدَنّـى عَـنْ طَبيعَتِهـا المُسْـتَجِدَّةِ هـذهِ هُجْنَةً والتِباسًـا. ولا غَـرْوَ فـي ذَلِـكَ، ولا مِـنْ أفْـواهٍ تَفْغُـرُ دَهْشَـةً وَعَجَبًـا: فَمـا يَتَهـادى اللبنانِيّـونَ تَسْـمِيَتَهُ، على سَـبيلِ التَّجامُـلِ، ارْتِفـاعَ «الوِصايَـةِ السّـورِيَّةِ» عـن لبنـانَ، كانَ، بِـدَوْرِه، أدْنـى إلى قـرارٍ دَوْلِيٍّ نَجَـحَ فـي عَـزْلِ سـوريا مـن إدارَةِ لبنـانَ، ــ («لبنـان الطّائِف»)، ولكِـنَّهُ لَـمْ يَنْجَحْ في حَثِّ اللبنانيّيـنَ علـى تَدَبُّـرِ شُـؤونِهِم بأنْفُسِـهِم، أي علـى الاسْـتِغْناءِ عـن الاسْـتِعانَةِ بـ«مُديـر» مِـنْ وَراءِ الحُـدود، ولا نَجَـحَ في مَلْءِ الشُّـغورِ الذي تَسَـبَّبَ بـه ابْـتِداء. ومِـنْ ثَـمَّ، لَرُبَّمـا، مـا يَجِـدُ

اللبنانيّـونَ فيـه أنْفُسَـهُم مِـنْ حَيْـرَةٍ تُتَرْجِمُ عن نَفْسِـها سـاعَةً بِشُـغورٍ رِئاسِـيّ، وسـاعَةً بِتَعَطُّلِ النَّشـاطِ الحُكومِـيّ، وثالِثَـةً بإرْجـاءِ الانْتِخابـاتِ النِّيابِيَّـة، وُصـولًا، بَيْنَ الحينِ والآخَـر، إلى دَعْوَةٍ مـنْ هُنـا أو هُنـاكَ إلـى «مُؤتَمَـرٍ تأسيسـيٍّ» يَسْتَـأْنِفُ صِياغَـةَ مُفْـرداتِ حياتِهِـم الوَطَنِيَّـةِ، أو إلـى إعـادَةِ النَّظَـرِ بمـا يُفْتَرَضُ أنَّ «الشَّـراكَةَ الوَطَنِيَّـة» تتأسَّـس عَلَيْـهِ مـن أُسُـس.

IV

علـــى غِرارِ ما يَتَناســـى اللبنانـــيُّونَ بَعْضَ ما تَحارَبوهُ مِـــنْ حُروبٍ، يَحْلو لَهُمْ أنْ يَتَناسَـــوا أيضًا بَعْـــضَ ما وَقَّعـــوهُ مِنَ اتِّفاقـــاتٍ على إحْلالِ السَّـــلامِ بَيْنَهُم.

ومِـنْ أبـرزِ النَّسْـواتِ «السِّـلْمِيَّةِ» التـي يَـكادُ اللُّبنانيّـونَ أنْ يُجْمِعـوا عليهـا أنَّ نائِـبَ رَئيسٍ سُـورِيٍّ، ومَكْتَبَـهُ، شَـهِدا فـي ٢٨ كانـون الأوَّلِ مِـنْ عـامِ ١٩٨٥ تَوْقيـعَ ثلاثَـةٍ، يَوْمَهـا، مِـنْ أُمَـراءِ الحـربِ اتِّفاقًـا طَموحًـا أُطْلِـقَ عليـهِ اسْـمٌ فَضْفـاض: «مشـروعُ اتِّفـاقٍ لِحَـلٍّ وَطَنِـيٍّ فـي لبنـان»[1].

(١) **النَّهار**، ٢٩ كانون الأوَّل ١٩٨٥.

وإذْ يُراجِـــعُ المَـــرْءُ اليَـــوْمَ يَوْمِيّـــاتِ لُبنانَ عَشِـــيّاتِ تَوْقيعِ ذَلِكَ الاتِّفاقِ، سَـــواءٌ أتَوَسَّعَ فـــي تَأْويلِ المَقْصـــودِ بِتِلْكَ العَشِـــيّاتِ فَأَرَّخَ

لها بِمُؤْتَمَـرَي جنيف ولـوزان[٢] (الذي مَهَّدَ الأَوَّلُ مِنْهُمـا لإسْـقاطِ المَفاعيلِ السِّياسِـيَّةِ لِـ«الاجْتيـاحِ»، وكَـرَّسَ الثّاني سُـقوطَ هذهِ المَفاعيلِ سُـقوطًا ناجِزًا)، بِوَصْفِهِما مُؤْتَمَرَي حِوارٍ وَطَنِـيٍّ، أمْ ضَيَّقَ فـي تَأْويلِها واكْتَفى مِنْهـا بماجَرَياتِ عـامِ ١٩٨٥ نَفْسِـه، فأَقَلُّ الأَقَلِّ أنْ يُسْـقَطَ فـي يَدِهِ إنْ طَلَبَ أسْـبابًا «لُبْنانِيَّـةً» مُوجِبَةً لهذا الاتِّفـاقِ لدى الثَّلاثَةِ المُوَقِّعيـنَ عليه، ومـا يُمَثِّلـونَ، أو، في ما يَتَجاوزُ الأشْـخاصَ، في واقعِ الحـالِ اللبنانيِّ عُمومًـا ـ عِلْمًا أنَّ صاحِـبَ التَّوْقيعِ الدُّرْزِيَّ، وليد جنبـلاط، كانَ، يَـوْمَ التَّوْقيـعِ، أحْرَصَ الثَّلاثَةِ المُوَقّعينَ علـى الاقْتِصادِ في التَّفاؤلِ، وكانَ، لاحِقًـا، أصْرَحَهُـم في الاعْتِـرافِ بأنَّهُ إنَّمـا وَقَّـعَ على الاتِّفـاقِ على غَيْـرِ اقْتِناعٍ ألبَتَّةَ بإمْكانِ العَمَلِ به[٣].

أمّـا إنْ ذَهَـبَ المَـرْءُ فـي بَحْثِـهِ عـنِ الأسْـبابِ المُوْجِبَـةِ لهـذا الاتِّفـاقِ المَذْهَـبَ الآخَـر، وتَسَـقَّطَ لـهُ مُقَدِّمـاتٍ لَيْـسَ لُبنـانُ واللبنانيّـونَ إلّا عَناصِـرَ ثانَوِيَّـةً منهـا، فَلَـنْ يَعودَ خاليَ الوِفاض.

(٢) عُقِدَ مُؤْتَمَرُ الحِوارِ الوَطَنِيّ في جنيف بين ٣١ تشرين الأوّل ١٩٨٣ و٤ تشرين الثّاني ١٩٨٣، أمّا مُؤْتَمَرُ الحِوارِ الوَطَنِيّ في لوزان، فَعُقِدَ بين ١٢ و٢٠ آذار ١٩٨٤.

(٣) في رِوايَةِ جريدة **العَمَل** (٢٩ كانون الأوّل ١٩٨٥): «السَّيّدُ حبيقة، والوزيران بِرّي وجنبلاط، وَقَّعوا على الاتِّفاقِ مَعَ السَّيّد خدّام، بِصِفَتِهِ شاهِدًا، عِنْدَ السّاعةِ الرّابِعَةِ مِنْ بَعْدِ الظُّهْرِ، بَعْدَما اسْتُدْعِيَت الشَّخْصِيّاتُ والقِياداتُ للانْضِمامِ إلى الاجْتِماعِ الرُّباعِي [...]. وقالَ الوَزيرُ بِرّي للصَّحافِيّين على الأثَر: "لا شَكَّ في أنَّ الاتِّفاقَ الذي وُقِّعَ اليَوْمَ وَضَعَ حدًّا لِتاريخِ لبنانَ مُنْذُ عام ١٨٦٠ إلى يَوْمِنا هذا"[...]. أمّا السيد حبيقة فَوَصَفَ الاتِّفاقَ بأنَّه "عظيم" [...]. وسُئِلَ الوَزيرُ جنبلاط هَلْ يَعْتَقِدُ بأنَّ الحَرْبَ في لبنانَ انْتَهَت؟ أجاب: "الاتِّفاقُ خُطْوَةٌ مُهِمَّةٌ للوصولِ إلى إنْهاءِ الحَرْبِ ولكنْ يَبْقى هناك رَأْبُ الصَّدْعِ بِحُسنِ النِّيَّةِ والثِّقَة"». أمّا في **حرب لبنان**، وثائقي الجزيرة، فيروي جنبلاط: «أثْناءَ حَفْلَةِ التَّوْقيعِ [على الاتِّفاق]، كُنْتُ أشُكُّ فَنَظَرَ إلَيَّ عبد الحليم خدام وقالَ لي: ماذا، لماذا... يعني لماذا أنْتَ تَشُكّ؟ قُلْتُ له: أشُكُّ في أنَّ هذا الاتِّفاقَ قد يُنَفَّذ حتّى أيّام ولدي تَيْمور»، **حرب لبنان**، الجزء الثاني عَشَر. النَّقْلُ النَّصِّيُّ مِنْ مَوْقِعِ الجزيرة الإلكترونيّ.

فبـدونِ تـردُّدٍ، قَـطُّ، يُمْكِـنُ التّأريـخُ بــ ١٩٨٥ لاِنْهـزامِ «دَوْلَـةِ مُنَظَّمَـةِ التَّحْريرِ الفِلَسْـطينيَّةِ»، واسْـتِطْرادًا حُلَفائِهـا اللبنانيّيـن، سِياسِـيًّا وعَسْـكَرِيًّا أمـامَ النِّظـامِ السّـوريّ؛ ومتـى مـا اسْـتَذْكَرَ المُتَأَمِّـلُ فـي أحْـوالِ لُبنـانَ أنَّ آخِـرَ المَعـارِكِ فـي تاريـخِ «حَـرْبِ السَّـنَتَيْنِ» كانـت تلـك التـي خاضَتْهـا مُنَظَّمَـةُ التَّحريـرِ الفِلَسْـطينيّةُ، وحُلَفاؤها، تَحْتَ عُنـوانِ التَّصَدّي لــ «الغَـزْو» السّـوريّ، سَـعْيًا مِنْهـا إلـى خَفْـضِ شُـروطِ «السَّـلامِ السّـوريِّ» الزّاحِفِ علـى لُبنانَ علـى مَتْـنِ دَبّاباتِـه، أدْرَكَ مـا يَتَرَتَّـبُ علـى انْهِـزامِ تلـكَ المُنَظَّمَةِ أمامَ ذَلِكَ النِّظـامِ هَزيمَةً لا تَقـومُ لهـا مِـنْ بَعْدِهـا قائِمَـةٌ، ومـا يُغْـرِي بـهِ نَصْـرٌ كهـذا صاحِبَـهُ مِـنْ أنْ يُتَرْجِمَـهُ إلـى مُفْـرداتٍ لُبنانيَّـة[٤].

علـــى النِّصْـــفِ مِـــنْ نَيســـانَ ١٩٨٥ تَوَلَّت ميليشـــياتُ حَرَكَةِ أمَـــل والحِـــزْبِ التَّقَدُّمِيِّ الاشتراكيِّ تَصْفِيَةَ ميليشـــيا «حركةِ النّاصِريّينَ المُسْـــتَقِلّينَ (المرابطون)» وإرْغـــامَ زَعيمِها (السُّنِّيِّ)، حَليفِ ياســـر عرفات، على مُغادَرَةِ بيروت، وفـــي ١٩ أيّار أطْلَقَت ميليشـــيا أمَل

(٤) ولَعَلَّ هذه «النِّهايَةِ» الذي انتهت إليها «حَرْبِ السَّنَتَيْنِ» لَيْسَتْ غَيْرَ ذاتِ نَظيرٍ مِنْ بَيْنِ النِّهاياتِ الأخْرى التي شَهِدَتْ عَلَيْها حَرْبُ\ حُروبُ لبنان؛ أمّا العِبْرَةُ مِنْها فإنَّ مُطْلِقَ الطَّلْقَةِ الأولى لَيْسَ بالضَّرورَةِ صاحِبَ الرَّأي أو التَّوْقيعِ الأخير...

الرَّصاصـــاتِ الأُولى مِمّا باتَ يُعْـــرَفُ بـ«حَرْبِ المُخَيَّماتِ»، وهِـــيَ الحَرْبُ التـــي أُريدَ مِنْها «الحَيْلولَةُ بينَ ياســـر عرفات وبيـــن تَمْكينِ نَفْســـهِ، ومُنَظَّمَتِـــهِ، مُجَـــدَّدًا على السّـــاحَةِ اللبنانيَّةِ»[٥]، وفي أيْلولَ مِنَ السَّـــنَةِ نَفْســـها، وإذْ كانَـــتْ حَرْبُ المُخَيَّمـــاتِ تَضْرِبُ أطْنابَها، تَوَلّـــى ائْتِـــلافٌ مِـــنَ الميليشـــيات المُواليَةِ لِنِظـــامِ البَعْثِ السّـــوريّ، بِدَعْـــمٍ صَريحٍ مِنَ الجَيْـــشِ العَرَبيِّ السّـــوريِّ، تَصْفِيَـــةَ «حركةِ التَّوْحيـــدِ الإســـلاميَّةِ» المَرْعِيَّةِ آنـــذاك، وَفْقَ مُصْطَلَـــحٍ لَمْ يَشِـــخْ تَمامًا بَعْـــدُ، عَرَفاتيًّا.

فـــي الفُسْـــطاطِ المُقابِـــلِ، كانَ إيلي حبيقة، مُسْـــتَفيدًا مِنْ فَشَـــلِ غريمِهِ ســـمير جعجع فـــي معركةِ شَـــرْقِ صيـــدا[٦]، ومِـــنْ الإنْهاكِ الذي لَحِـــقَ برَئيـــسِ الجُمهوريَّةِ مِـــنْ جَرّاءِ الإخْفاقـــاتِ المُتَتالِيَـــةِ التـــي مُنِـــيَ بِها مِنْ أوَّلِ عَهْـــدِه، قد اسْـــتَعَدَّ للاتِّفاقِ مـــا أَمْكَنَهُ الاسْـــتِعْدادُ، فَتَقَلَّدَ، مِنْ طريـــقِ «الانْتِخاب»، فـــي ١٢ أيّـــار مِـــنَ السَّـــنَةِ نفســـها، قيادةَ ميليشـــيا القُـــوّاتِ اللبنانيَّـــة، ولَـــمْ يُغْفِل «الانْفِتـــاحَ» علـــى القُطْبِ الثّالِـــثِ مِنْ أهْلِ

(٥) David Hirst, *Beware of Small States - Lebanon, Battleground of the Middle East*, Nation Books, New York, 2010, p. 246.

(٦) في رِوايَةِ سمير جعجع: «في هَذِهِ الأثْناءِ كُنْتُ أُمضي وَقْتي في إقْليمِ الخَرّوبِ وشَرْقِ صيدا، لِنَتَفادى أحْداثًا هناك. وفي المَجْلِسِ الحَرْبِيِّ، كانَ هَؤلاءِ الأشْخاصُ يَبْحَثونَ عن طَريقةٍ لِتَسَلُّمِ قِيادَةِ "القوّات"، إلى أن اتَّفَقوا على إيصالِ إيلي حبيقة. كُنْتُ مُنْهَمِكًا بِمعالَجَةِ وَضْعِ شَرْقِ صيدا، وكانوا مُنْهَمِكينَ في هذا الأمْر. وحَصَلَتْ عَمَليَّةُ شَرْق صيدا، وبَدَلَ أنْ يَضُمّوا أيْديَهِم معي لِنَرى ما نَسْتَطيعُ أنْ نَفْعَلَهُ، بَدأوا حَمْلَةَ تَسْويقٍ تَهْدِفُ إلى إظْهاري وكأنَّني المَسؤولُ عَنْ شَرْق صيدا. كانت قَدْ مَضَتْ خَمْسَةُ أيّام فَقَطْ على تَسَلُّمي رِئاسَة الأرْكان، وكانَت قد مَضَتْ عَشْرُ سَنَواتٍ على تَوَلّي إيلي حبيقة مسؤوليَّة جِهازِ الأمْن. جَماعَتُهُ هُمُ الذين اشْتَغَلوا أساسًا في شَرْق صيدا، وحبيقة كانَ مِنْ أكْثَرِ المُتَحَمِّسين لبقاءِ "القوّات" في الإقليم وشَرْق صيدا. أنا كُنْتُ مُعارِضًا لهذه الخِطَّةِ منذ البِدايَة. وحين تَوَلَّيْتُ رئاسَةَ الأرْكان، بَدَأت الأحْداثُ في شَرْق صيدا، فَذَهَبْتُ إلى هُناكَ لأُعالِجَ الأحْداث، وجَلَسَ حبيقة يُتابِعُ التَّخْطيطَ لِعَمَليَّةِ الإمْساكِ بالقِيادَة. إثْر أحْداثِ الإقْليم، بدأ حبيقة حَمْلَةَ تَهْشيمٍ ضِدّي داخِلَ "القُوّات"»، غسان شربل، **أين كُنْتَ في الحرب؟**، دار رياض نجيب الريس، الطبعة الأولى ٢٠١١، ص. ٢٠٢ ـ ٢٠٣.

القُــوَّةِ الذينَ كانَ يُشــارِكُهُم السَّــيْطَرَةَ على «المناطِقِ الشَّــرْقِيَّة»، قائِــدِ الجَيْشِ مُنْذُ عام ١٩٨٤، العِماد ميشــال عــون[٧و٨].

بالطَّبْــعِ يُمكــنُ المــرءَ أنْ يُضِيْــفَ إلى ما تَقَــدَّمَ الانْسِــحابَ الإسْــرائِيلِيَّ مِــنْ صيدا، وأنْ يُضيفَ إشْــهارَ حِزْبِ اللــهِ وجودَهُ على السّــاحَةِ اللبنانيَّةِ بِوَصْفِهِ تَنْظيمًــا ذا بَرْنامَجٍ سياســيٍّ[٩]، وأنْ يُضيفَ غيرَ هــذا وغيرَ ذاكَ مِــنَ الوقائِــعِ المَحَلِيَّةِ وغَيْــرِ المَحَلِيَّةِ، على أنَّ العِبْــرَةَ هِيَ فــي أنَّ هَذِهِ الوَقائِــعَ كُلَّها نَزَلَتْ، في التَّقْديرِ السّــوريّ، مَنْزِلَةَ الأسْــبابِ المُشَــجِّعَةِ والحاثَّــةِ على إحْلالِ السَّــلامِ، أوْ بالأحْرى سَــلامٍ ما، فــي لبنان.

وكانَ مــا كانَ وَوُقِّــعَ الاتِّفــاقُ الثُّلاثــيُّ[١٠]، وكمــا هُــوَ معــروفٌ، لَــمْ يُعَمِّــرْ هــذا الاتِّفــاقُ ســوى أســابيعَ قليلــة...

صَحيحٌ أنَّ إسْــقاطَ هــذا الاتِّفاقِ لَــمْ يَتَأَتَّ مِنَ اسْــتِهانَتِهِ العَلَنِيَّةِ بالمُكَوِّنِ السُّــنّيِّ وإنَّما مِــنْ إطاحَةِ صاحِبِ التَّوْقيعِ المَســيحِيِّ عَلَيْه (على يَدِ رِفاقِــه)، ولكنْ يَبْقى، سَــواءٌ أحَبَّ

(٧) يَصِفُ غسّان شربل غُموضَ مَوْقِفِ العِمادِ عون من الاتِّفاقِ الثُّلاثي فَيَكْتُب: «لم يُسْقِط عون الاتِّفاقَ الثُّلاثيَّ ولم يُشارِكْ في إسْقاطِهِ، لكِنَّه لم يُشارِكْ أيْضًا في مَنْعِ سُقوطِه»؛ **المصدر السابق**، ص. ٣٦٦ ـ ٣٦٧.

(٨) مِنَ المُفيدِ الإشارَةُ، في هذا المَقامِ، إلى ما كانَ من يَدٍ لرفيق الحريري، غَداةَ مُؤْتَمَرِ لوزان، في تَيْسيرِ التَّواصُلِ بين إيلي حبيقة والقِيادَةِ السّوريَّة. رِوايَةُ حبيقة، (**المرجع السّابق**، ص. ٥١ وما بعدها)، تُظاهِرُ شَهادَتَي مروان حماده وجوني عبده في الوثائقي **زمن رفيق الحريري** الذي أعَدَّهُ جورج غانم في ٢٠١٥ بمناسبة الذِّكْرى العاشِرَةِ على اغتيالِ الحريري.

(٩) **النَّهار**، ١٧ شباط ١٩٨٥.

(١٠) **النَّهار**، ٢٩ كانون الأوَّل ١٩٨٥.

اللبنانيّــونَ ذَلِــكَ أمْ لَمْ يُحِبّوا، وسَــواءٌ أحَلا لَهُــم أنْ يَتَذَكَّــروا أم اعتصمُوا بالنِّسْــيان، أنَّ هذا الاتِّفــاقَ لَمْ يَكُــنِ اتِّفاقَهُــم، أوِ اتِّفاقًا بَيْنَ البَعْضِ مِنْهُمْ، وإنَّمــا كانَ تَرْجَمَةً لبنانيَّةً لِتَقْديــرٍ قَــدَّرَهُ النِّظامُ السّــوريُّ وخَلَصَ منهُ إلى أنَّ الوَقْتَ مُناسِــبٌ لكي يُحَوِّلَ، بالمَعْنى المالِــيّ لِكَلِمَةِ تَحْويــل، إنْجازاتِــهِ اللبنانيَّةَ التالِيَــةَ على إسْــقاطِ اتِّفاقِ ١٧ أيار، سَــواءٌ أذُيّلَــت هذهِ الإنْجازاتُ بِتَوْقيعِــهِ الصَّريحِ أوْ بِتَوْقيــعِ حُلفائِهِ (الذين أُضيــفَ إلَيْهِم، على نحــوٍ علنيٍّ، منــذُ عــامِ ١٩٨٢، بِذَريعَةِ قِتالِ إسْــرائيلَ، الحَليفُ الإيرانيُّ)، ــ لكــيْ يُحَوِّلَ هذهِ الإنْجــازاتِ اتِّفاقًا يُوَطِّــدُ أركانَ نُفوذِهِ على لبنــانَ، ويُشَــرِّعُ هذا النُّفــوذَ، ويَكونُ مِنْ مآلاتِــهِ الثّانويَّــةِ أنْ يَعُمَّ سَــلامٌ ما في لبنــان ــ أوْ قُلْ في بَعْــضِ لبنان.

ومِمّا يَشْــهَدُ على هذهِ التَّراتُبيَّــةِ ما يُلاحِظُهُ تيــودور هانــف مِنَ اخْتِــلافٍ فــي «لُغَةِ» الاتِّفــاقِ الثُّلاثــيِّ بَيْــنَ القِسْــمِ المُتَعَلِّــقِ بالإصْلاحــاتِ والقِسْــمِ المُتَعَلِّــقِ بالعلاقاتِ اللبنانيَّةِ السّــوريَّةِ. ففيما تَتَمَيَّــزُ لُغَةُ الأوَّلِ

بِما يُمْليــه النَّشْــرُ القانونيُّ مِنْ تَقَشُّــفٍ ـ عِلْمًــا أنَّ هذا القِسْــمَ مِنَ الاتِّفــاقِ الثُّلاثيِّ على مــا يُشــيرُ ماثيو بريســتون يَسْــتَعيرُ الكَــثيرَ مِنْ مُسَــوَّداتِ لــوزان[١١] ـ تنحو لُغَةُ القِسْــمِ الثّاني مَنْحى الإطْنــابِ البَلاغيِّ مُتَوَسِّــلَةً بِمُفْــرَداتٍ فَضْفاضَةٍ مُرْسَــلَةٍ على عَواهِنِها لا ضابِــطَ قانونِــيًّا لِتأويلِها...[١٢]

(١١) Matthew Preston, *Ending Civil War: Lebanon and Rhodesia in Perspective*, I. B. Tauris, p. 33-35.

(١٢) Theodor Hanf, *Coexistence in Wartime Lebanon,* I. B. Tauris, p. 308.

صفحة بيضاء في الأصل

V

لقـدْ يبدو شَـيْئًا مِـنْ قَبِيْـلِ العَبَـثِ المُصَفّى أنْ يَذْهَـبَ المَـرْءُ إلـى مُضاهـاةِ الاتِّفـاقِ الثُّلاثـيِّ باتِّفاقٍ سـابِقٍ عَلَيْهِ بِسَـنَتَينِ لَـمْ يَتَّفِقَهُ فَريقانِ لبنانِيّـانِ بـل وَقَّـعَ عَلَيْـهِ مَسْـؤولٌ لبنانِـيٌّ وآخَرُ إسْـرائيليّ: اتِّفـاقِ ١٧ أيّـار.

فَسُـوريا البَعْـثُ، حتّـى فـي أَوْجِ مراحِلِ المُناهَضَـةِ اللبنانيَّةِ لها، بَقِيَتْ، على أَلْسِـنَةِ الكَثْـرَةِ الكاثرةِ مِـنَ اللبنانيّينَ، بَلَـدًا جارًا تَحْكُـمُ على الصِّلَةِ بـهِ، في أسْـوأِ الأحْوالِ، «مَشَـقَّةُ الأُخُـوَّة»[1]، فيما إسْـرائيلُ، حتّى في أوْجِ مَراحِـلِ الوُدِّ بَيْنَها وبَيْـنَ فَريقٍ مِنَ اللبنانيينَ بَقِيَتْ أشْـبَهَ بـ«رفيقِ السُّوءِ» الذي يَحْكُمُ شَـيْءٌ مِـنَ الخَجَلِ علـى العَلاقةِ به، وعلى إشْـهارِ تِلْـكَ العَلاقَة.

(١) «مَشَقَّةُ الأُخُوّة» هو العُنْوانُ الفَرْعِـيُّ لِكتـابٍ بِتَوْقيعِ المُخَضْرَمِ جوزيف أبو خليل عُنْوانُه **لبنان وسوريا** يَقْتَرِحُ «قِراءَةً جَديدةً لِتاريخِ العَلاقَةِ بَيْنَهما وللأحْداثِ المُتلاحِقَةِ مُنْذُ تأسِيسِهما» (ص. ١٧). شركة المطبوعات الشرقيّة، الطَّبعة الثانية، ١٩٩١.

عَبَثٌ مُصَفّـــى، لَرُبَّما، ولكنْ يَبْقـــى أيْضًا أنَّهُ على غِرارِ الاتِّفـــاقِ الثُّلاثيِّ الـــذي مَهَّدَتْ لَهُ مَجْموعَةٌ مِـــنَ الوَقائِعِ المَيْدانيَّـــةِ المُتَرادِفَةِ، (حرب الجبـــلِ، إنتفاضة الضّاحِيَةِ، ٦ شـــباط ١٩٨٤ وصولًا إلى تَصْفِياتِ عـــامِ ١٩٨٥)، فإنَّ مُعاهَـــدَةَ ١٧ أيّـــار ما كانَ لهـــا أنْ تُوَقَّعَ لولا ما قامتْ بِهِ إسْـــرائيلُ مِنَ اجْتِياحٍ عَسْـــكَرِيٍّ هَلَّلَـــتْ لَـــهُ جَماعـــةٌ لا يُسْـــتَهانُ بِهـــا مِنَ اللبنانيّيـــن، وقَلَـــبَ مَوازينَ «الحَـــرْبِ» في لبنـــانَ، وَلَوْ لحينٍ، رأسًـــا علـــى عَقِب.

علـــى التَّأكيـــدِ لَيْـــسَ المُـــرادُ بِـ«١٧ أيّار» مُعاهَدَةَ السَّـــلامِ اللبنانيَّةَ\الإسرائيليَّةَ بِنَفْسِها، وإنَّمـــا الرِّحْلَةُ الطَّويلَةُ التـــي أَفْضَتْ إلى تلكَ المُعاهَدَةِ مِنْ حَيْثُ هِـــيَ الوَجْهُ «الخارِجِيُّ» لِمُحاوَلَـــةِ تَرْميمِ النِّظامِ السِّياسِـــيِّ في لبنانَ على النَّحْوِ الـــذي قامَ عليهِ مُنْذُ الاسْـــتِقْلال، أيْ بِمـــا يَضْمَـــنُ لـ«المارونيَّةِ السِّياســـيَّةِ»، ولحُلَفائِهـــا فـــي الطَّوائِفِ الأُخْـــرى، مواصَلَةَ التَّحَكُّـــمِ في مقاديـــرِ الحُكْمِ والسُّـــلْطَة. أمّا أنَّها رِحْلَـــةٌ طَويلةٌ لَمْ يَكُـــنِ الاجْتياحُ، وإجْلاءُ مُنَظَّمَـــةِ التَّحريرِ الفِلَسْـــطينيَّةِ مِـــنْ لبنانَ،

وانْتِخابُ بشـــير الجميّل، ومِنْ بَعْدِه شَـــقيقِهِ أميـــن لِرئاسَـــةِ الجُمْهوريَّةِ، سِـــوى مَحَطّاتِها الأبْـــرَزَ، فهذا مـــا باتَـــتْ تَفاصيلُـــهُ مَعْرِفَةً مَشـــاعًا لا يُجادِلُ فيها أحد[٢].

لا غَـرْوَ أنْ يَبْـدُوَ الاجْتيـاحُ الإسْـرائيليُّ مِـنْ كُلِّ مـا تـلاهُ أشْـبَهَ بالسَّـبَبِ والمُحَـرِّكِ والقاطِـرَةِ، ولا شَـكَّ أنَّـهُ كانَ كذَلِـكَ ، ولكـنْ فـي الاكْتِفـاءِ بـهِ سَـببًا ومُحَـرِّكًا وقاطِـرَةً إهْمـالٌ لـ«تَفْصيلٍ» لبنانـيٍّ لا مُـرورَ دونَـهُ إلّا سَـعْيًا إلـى تغليـب مَنْطِـقِ الإنْـكارِ، إنْـكارِ الحَقائِـقِ المُحَقَّقَـةِ، أو المُجامَلَـة. أمّـا مَفـادُ هـذا «التَّفصيـلِ» فـأنَّ جَماعَـةً مِـنَ اللبنانِيّيـن، فَضْـلاً عَـنْ صُنّـاعِ الحَـرْبِ الإسْـرائيليّينَ أنْفُسِـهِم، حَسَـبوا بـأنَّ البَـأسَ العَسْـكريَّ الكَفيـلَ بـأنْ يَحْـذِفَ مِـنَ المُعادَلَـةِ اللبنانيَّـةِ الوجـودَ الفِلَسْـطينيَّ العسكريَّ\السياسـيَّ، كَفيـلٌ أيْضًـا بـأنْ يَحْـذِفَ مِـنَ النِّـزاعِ الـذي يَشْـهَدُهُ لبنـانُ، علـى كَثْـرَةِ المُتَدَخِّليـن فيـهِ، بُعْـدَهُ الدّاخِلِـيَّ الـذي تُعَبِّـرُ عنـهُ عبـارةُ «أزْمَـة النِّظـام»، (رُغْـمَ ضبابِيَّتِهـا)، وكَفيـلٌ بـأنْ يُمَـدِّدَ عُمْـرَ هـذا النِّظـام كأنَّ شَـيْئًا بيـنَ ١٩٧٥ و١٩٨٢ لَـمْ يَكُـن. ولَعَـلَّ

(٢) بَلْ يَذْهَبُ البَعْضُ إلى أنَّ اجْتياحَ ١٩٨٢ إنَّما كان اسْتيحاءً عمليًّا لِما دعا إلَيْهِ بن غوريون لِعُقودٍ خَلَتْ مِنْ ضَرورَةِ العَمَلِ على إنْشاءِ كِيانٍ مَسيحِيٍّ حَليفٍ لإسْرائيلَ في لبنان.

Kirsten Schulze, *Israel's Covert Diplomacy in Lebanon*, Palgrave, 1998.

خَيْـرَ دَليـلٍ علـى أنَّ المَسْـكوتَ عنـهُ فـي مـا نُجْمِلُـهُ تحـتَ اسْـمِ ١٧ أيّـار هُـوَ البُعْـدُ الدّاخلـيُّ ــ لعـلَّ خَيْـرَ دليـلٍ علـى ذَلِـكَ أنَّ النِّقاشـاتِ التـي شَـهِدَ عَلَيْهـا مُؤتَمَـرُ لـوزان المُنْعَقِـدُ فـي ١٢ آذار ١٩٨٤، بعـدَ إسْـقاطِ الاتِّفـاقِ، إنَّمـا دارت، علـى نَحْـوٍ كبيـرٍ، علـى «أزْمَـةِ النظـام» تِلـك...

وعلـى غِرارِ ما إنَّ الحَـرْبَ، ولا نَعْني بالحَرْبِ الاجْتياحَ الإسـرائيليَّ وَحَسْـب، هيَ ما أفْضى إلـى اتِّفاقِ ١٧ أيّـار، فإنَّ الحَـرْبَ أيضًا هِيَ عَمَليًّـا ما أطاحَه.

فَشَـبَهُ الاتِّفـاقِ الثُّلاثـيِّ لَـمْ يُعَمَّـر اتِّفـاقُ ١٧ أيّـار مديـدًا. ومـا هِـيَ أنْ دَخَـلَ خَريـفُ ١٩٨٣، وأنْ قـالَ المَيْـدانُ الكَلِمَـةَ الفَصْـلَ، حتّـى كانَ مُؤتَمَـرٌ وَطَنِـيٌّ، لـمْ يَغِـبْ عنـهُ مُمَثِّـلٌ لسـوريا، مُؤْتَمَـرُ جنيـف، يَجْمَـعُ أعْيـانَ لبنـانَ تَحْـتَ عُنْـوانِ الحِـوار فـي جَـدْوى التَّمَسُّـكِ بـ ١٧ أيّـار، ويُـؤذِنُ بـأنَّ أيّـامَ هـذا الاتِّفـاقِ باتـتْ معـدودة...

لا يَخْلـو مُؤتمـرٌ لـ«حِـوارٍ وَطَنِـيٍّ» مِـنْ أنْ

يُشارِكَ فيهِ طَرَفٌ ثالثٌ يَكونُ في مَحَلٍّ وَسيطٍ يُيَسِّرُ حِوارَ المُتَحاوِرينَ ويَضْبِطُ إيقاعَهُ، ويَحولُ دونَ تَعَثُّرِهِ ووصولِهِ إلى طريقٍ مسدودة.

هُوَ كذَلِكَ غيرَ أنَّ «الحِيادَ» و«الوقوفَ على مَسافَةٍ واحِدَةٍ مِنَ المُتَحاوِرينَ» هُما أقَلُّ الصِّفاتِ المُفْتَرَضِ أن يَتَمَتَّعَ بِها «الطَّرَفُ الثّالِثُ»، وهذا، تمامًا، ما لا يَسْتقيمُ بكلِّ المعاييرِ أنْ يُوْصَفَ بهِ مُمَثِّلُ سوريا في مؤتمرِ جنيف وسِواهُ مِنَ اللقاءاتِ التي جَمَعَت اللبنانيّينَ تحتَ عُنْوانِ الحِوار. مِنْ ثَمَّ فالإشارَةُ إلى المُشارَكَةِ السّوريَّةِ في مُؤْتَمَرِ جنيف الذي نعى ١٧ أيّار لَيْسَتْ مَقْصودَةً بِذاتِها بَلْ لِما تَفْتَحُهُ مِنْ بابٍ للعَوْدِ على أُولى نِهاياتِ حَرْبِ لبنان ــ نهايَة «حربِ السَّنَتَيْن».

قِياسًا بعددِ الهُدَنِ التي تَخَلَّلَت «حَرْبَ السَّنَتَيْنِ»، وبعددِ اللجانِ التي تألَّفَتْ بُغْيَةَ التَّوَصُّلِ إلى وَقْفٍ للنّارِ هُنا، أوْ إلى إطْلاقِ مَخطوفينَ هُناك، أوْ بُغْيَةَ إيصالِ مَوادَّ تَمْوِينيَّةٍ إلى هُنالك، وبِعَدَدِ المُبادَراتِ،

المَحَلِّيَّــةِ وغَيْــرِ المَحَلِيَّة التي سَــعَتْ إلى احْتِواءِ الحَريقِ النّاشِــبِ، تَبْــدو هذهِ الحَرْبُ، مِنْ كُلِّ الحُــروبِ التي تَلَتْها، أشْــبَهَ بالخِتامِ مِنْ مَسْــرَحِيَّةٍ حَيْثُ يَتَوالــى المُمَثِّلونَ، بِمَنْ فيهِــم ذَوو الأدْوارِ الثّانَوِيَّــةِ، على الخَشَــبَةِ لِتَحِيَّــةِ الجُمْهور.

مِنْ كُلِّ الذين تَوالوا على الخَشَــبَةِ اللبنانيَّة، حَرْبًــا وسِــلْمًا، تَنْفَرِدُ ســوريا (الأســد[٣]) بِمَحَــلٍّ على حِدَة لا يُضاهيهــا فيه أيُّ طَرَفٍ آخَــرَ ولا يُنافِسُــها. فعلــى بِدايَــةِ الحَرْبِ، انحازَتْ ســوريا هذهِ إلى مُنَظَّمَــةِ التَّحْريرِ الفِلَسْــطينيَّة وحَليفِهــا اللبنانــيِّ المَعْروفِ آنَذاكَ باسْــمِ «الحَرَكَة الوَطَنِــيَّة اللبنانيَّة»، وعلــى ما يَذْهَــبُ العَديــدُ مِــنَ مُؤَرِّخي الحَــرْبِ اللبنانيَّــةِ فــإنَّ انْحيازَها هــذا لَمْ تُمْلِــهِ الاعْتِباراتُ المَبْدئيَّةُ بِمِقــدارِ ما أمْلَتْهُ الاعْتِباراتُ المَصْلَحِيَّةُ، ولا ســيَّما ذاتَ الصِّلَةِ بِمَحَلِّ ســوريا علــى السّــاحَةِ الإقْليميَّةِ في ظِلِّ التَّقَــدُّمِ الذي كانَتْ تُحْــرِزُهُ مُفاوَضاتُ التَّسْــوِيَةِ عُمومًــا والمُفاوَضــاتُ المِصْرِيَّةِ\الإســرائيليَّةُ على نَحْوٍ أخــصّ، وذاتَ الصِّلَةِ

(٣) لا بَأْسَ من التَّذْكيرِ أنَّ الأمْرَ لَمْ يَسْتَتِبَّ لِحافِظِ الأسد كُلَّ الاسْتِتْبابِ إلّا على أواخِرِ ١٩٧٠ بِمناسَبَةِ ما يُعْرَفُ بـ«الحَرَكة التَّصْحيحيَّة».

بالتَّأثيرِ فـــي مُنَظَّمَةِ التَّحْريرِ الفِلَسْـــطينيَّةِ، المُتَّخِـــذَةِ مِنْ لُبنـــانَ مَقَرًّا لهـــا ومُعْتَصَمًا، وعلى لبنـــانَ بِوَصْفِـــهِ دولةً تَحِدُّ إسْـــرائيلَ وإسرائيلُ تَحِدُّها(٤).

وإنْ تَـكُنْ هـذه «الأنانيَّـةُ» نَفْسُـها، فـي عِـدادِ أسْـبابٍ أُخْـرَى، هـي مـا يُفَسِّـرُ التَّحَـوُّلَ فـي المَوْقِـفِ السّـوريِّ مِـنْ دَعْـمِ مُنَظَّمَـةِ التَّحريـرِ الفلسـطينيَّةِ وحُلَفائِهـا اللبنانيّيـنَ، إلـى دَعْـمِ «الفَريـقِ الآخَـرِ»، إلـى الإصْـرارِ علـى التَّوَسُّـطِ، المُنْفَـرِدِ بَيْـنَ الأطْـرافِ المُتَنازِعَةِ، إلـى التَّدَخُّلِ العَسْـكَرِيِّ المُباشَـرِ يَبْقـى أنَّ النِّهايَـةَ التـي انْتَهَتْهـا حَـرْبُ السَّـنَتَيْنِ تَتْـرُكُ في النَّفْسِ شَيْئًا مِنْ لَو.

مَثَـــلُ المَحَطّـــاتِ الثَّلاثَـــةِ التي عُـــرِضَ لها في ما سَـــبَق، (الطّائف، الثُّلاثـــيّ، ١٧ أيّار)، والتـــي مَهَّـــدَ لِـــكُلٍّ مِنْهـــا، على نَحْـــوٍ ما، تَطَوُّرٌ مَيْدانِـــيٌّ، انْتَهَتْ حَرْبُ السَّـــنَتَيْنِ، أو قُل «انْتَهَتْ» بِما فَرَضَهُ التَّدَخُّلُ العَسْـــكريُّ السّـــوريُّ مِنْ أمْرٍ واقِعٍ. ولَكِـــنْ، بِخِلافِ تِلْكَ المَحَطّـــاتِ، فَلَقَـــد انْتَهَتْ حَرْبُ السَّـــنَتَيْنِ بِدونِ اتِّفاقٍ سِياسِـــيٍّ مَكْتوبٍ بين الأطْرافِ

(٤) بالطَّبْع، لم تُقْتَصَر أسْبابُ سوريا الأسد للتَّدَخُّلِ في لبنانَ على البُعْدِ الإقليميّ؛ من هذه الأسْبابِ أيضًا الإبْقاءُ على سَهْلِ البِقاع، باعتبارِهِ الخاصِرَةَ السوريَّةَ الرَّخْوَةَ «تَحْتَ السَيْطَرَة»، ومِنْها المَغانِمُ الاقْتِصاديَّةُ التي يُوَفِّرُها هذا التَّدَخُّل، ومِنْها إلْحافُ نِظامِ الأسَدِ في التَّعْويضِ عن عَلَوِيَّتِهِ بالتأكيدِ على عُروبَتِهِ، واسْتِطْرادًا على «حَقِّ» سوريا في لبنان، أو، في أقَلِّ تَقْديرٍ، على «حَقِّ» سوريا في «الوِصايَةِ» على لبنان!

اللبنانيَّةِ التي لَمْ تَسْــتَحِ يَوْمًا، مِنْ قَــبْلِ أن انْدَلَعَــت الحَرْبُ ومِنْ بَعْــدِ أنْ تَوَقَّفَتْ، مِنَ المُجاهَــرَةِ بما تَخْتَلِفُ فيــهِ وعَلَيه.

ولأنَّ الأمْـرَ لم يَكُنْ، أي لأنَّ الحَــرْبَ تَوَقَّفَتْ بِدونِ اتِّفاقٍ، فَبَيــانُ غِيابِهِ مَنــوطٌ بالتَّقْديرِ أكْثَــرَ مِنْهُ بالتَّفْســير؛ مِــنْ ثَمَّ، لا شَــطَطَ لَرُبَّمــا فــي القَــوْلِ إنَّ النِّظامَ السّــوريَّ لَمْ يأنَــسْ، بَعْدَ حُصولِــهِ على تأشــيرَةِ التَّدَخُّلِ في لبنــان، (وهِــيَ، للتَّذْكيــر، تأشــيرَةٌ لَمْ يَنْتَظِــر النِّظــامُ السّــوريُّ الحُصــولَ عَلَيْها للتَّدَخُّــلِ ولِلْمُشــارَكَة عَمَليًّا فــي الحَرْبِ)، ـ نقــول، لَــمْ يأنَس النِّظــامُ السّــوريُّ مِنْ حاجَةٍ إلــى تَفْصيلِ حَلٍّ سَياسِــيٍّ على صورَةِ اتِّفاقٍ يَسْــتَوْقِعُ عَليهِ مُمَثِّليــنَ عَن الأطْرافِ اللبنانِيَّــةِ المُتنازِعَةِ لاعْتِباره، لا سِــيَّما بِلِحاظِ رِضــا الوِلايــات المُتَّحِدَةِ عن هــذا التَّدَخُّلِ، وبِلِحــاظِ الموافَقَةِ الإسْــرائيلِيَّةِ المَشْــروطَةِ عليــه، أنَّ هــذا التَّدَخُّــلَ، فــي الحُــدودِ المَرْســومَةِ لَهُ، هــو، بِحَدِّ ذاتِــهِ، الحَلُّ.

عِــلاوَةً عليــه، لا شَــطَطَ فــي الافْتِــراضِ أنَّ ســوريا رَأتْ فــي «الوَثيقَــةِ الدُّسْــتورِيَّةِ»

التـي وَقَفَـتْ علـى وَضْعِهـا، وفـي الانْتِخـابِ المُبَكِّـرَ لرئيـسِ جُمْهوريَّـةٍ يَخْلِـفُ الرَّئيـسَ المُوشِـكَةُ ولايتُـهُ علـى الانتهـاءِ، مـا يَكْفـي ويَزيـدُ لإخـراجِ لبنـانَ مِـنَ «الحـرب الأهليَّـة» إلـى «السِّـلم السـوري»، ولا لا شَـطَطَ فـي الافْتِـراضِ أنَّ مـا شَـهِدَتْهُ السَّـنَواتُ اللاحِقَـةُ علـى نِهايَـةِ حَـرْبِ السَّـنَتَينِ مِـنْ التَّضْييـقِ علـى الحُرِّيّـاتِ ومِـنَ الاغْتِيـالاتِ، وفـي الطَّليعَـةِ مِنْهـا اغْتِيـالُ كمـال جنبـلاط، (زَعيـمِ «الحَرَكَـةِ الوطنيَّـةِ اللبنانيَّـة»)، كانـت جُـزْءًا لا يَتَجَـزَّأ مـن ذَلِـكَ «السَّـلام»!

كانَ ذَلِـكَ، وكفـى التَّفْويـضُ العَرَبـيُّ المُنْعَـمُ عَلَيْـهِ بالرِّضـا الدَّوْلـيّ سـوريا بـأنْ تُحِـلَّ السَّـلامَ فـي لبنـانَ، علـى طَريقَتِهـا، مَؤونَـةَ المُضِـيِّ قُدُمًـا فـي السَّـعْي إلـى اتِّفـاقٍ بَيْـنَ اللبنانِيّيـنَ، تَكـونُ مِنْـهُ فـي مَحَـلِّ الرّاعِيَـةِ، ويَضْمَـنُ شَـرْعِيَّةً لبنانِيَّـةً لِتَدَخُّلِهـا. غيـر أنَّ هـذا التَّفْويـضَ أبْقـى العَلاقـاتِ اللبنانيَّـةَ\ الفلسـطينيَّةَ مُعَلَّقَـةً علـى مـا بَيْـنَ الدَّوْلَـةِ اللبنانيَّـةِ ومُنَظَّمَـةِ التَّحْريـر مـن اتِّفاقـاتٍ سـابِقَةٍ علـى انْـدِلاعِ الحَـرْبِ ــ اتِّفاقـاتٍ

يـرى البَعْـضُ فيهـا سَـبَبًا مـن أسْـبابِ انْـدِلاعِ هــذه الحَــرْب!

فــإذْ قَــرَنَ البَيــانُ الخِتامِــيُّ الصّــادِرُ عَنْ قِمَّــةِ الرِّيــاضِ السُّداسِــيَّةِ «الحِفــاظَ على أمْنِ لبنانَ وسَــلامتِهِ واسْــتِقْلالِهِ وسِــيادَتِهِ» بِـ«حِمايَــةِ المُقاوَمَــةِ الفِلَسْــطينيَّةِ مُمَثَّلَةً بمُنَظَّمَــةِ التَّحْريــرِ الفِلَسْــطينيَّةِ»، وإذْ قَرَّرَ في عِــدادِ القَراراتِ الصّــادِرَةِ عَنْــهُ «تَنْفيذَ اتِّفاقِ القاهِرَةِ ومَلاحِقِــهِ والالتزامَ بِمَضْمونِها نصًّــا وروحًا، وذَلِــكَ بِضَمــانٍ مِنَ الــدُّوَلِ العَرَبِيَّــةِ مُجْتَمِعَــةً»، فلقــدْ أَوْكَلَ، عمليًّــا، دِمَشْــقَ القَبْضَ والبَســطَ في تفسير «اتِّفاقِ القاهِــرَة ومَلاحِقِهِ» واسْــتِطْرادًا في التَّضْييقِ على نَشــاطِ مُنَظَّمَــةِ التَّحْريرِ فــي لبنان أو غَــضِّ النَّظَــرِ عمّا قــد يُرافِقُ هذا النَّشــاطَ مِــن «تجــاوزات»[٥]، وهذا، تَمامًــا، ما كانَ، وما شَــهِدَتْ عَلَيْهِ الأشْــهُرُ التي تَلَــت انْتِهاءَ الحَــرْبِ ومــا شَــهِدَت عَلَيْــهِ المُفاوضاتُ المَعْروفَةُ باســم «مُفاوضات شــتورة».

إنْتَهَتْ هــذهِ المُفاوضاتُ فــي تَمّوز ١٩٧٧ باتِّفــاقٍ يُلَبّــي، نَظَريًّــا، دَفْتَــرَ الشُّــروطِ

(٥) لا تَخْلو إدارَةُ النِّظامِ السّوريِّ لـ«تَنْفيذِ اتِّفاقِ القاهِرَة» من التَّذْكيرِ بإدارَتِهِ لِتَنفيذِ اتِّفاقِ الطّائِف!

السّوريِّ القاضِيَ بِضَبْطِ السِّـــلاحِ الفِلَسْطينيِّ في لبنـــانَ، ولكنَّ زِيـــارةَ الرَّئيـــسِ المِصْريِّ أنور السّـــادات إلى إسْـــرائيلَ في تِشْـــرينَ الثّاني ١٩٧٧ سَـــرَعانَ ما حَكَمَـــتْ على هذا الاتِّفـــاقِ، علـــى ما يَقـــولُ تيـــودور هانف، بـ«التَّقـــادُم»[٦]. فهـــذهِ الزِّيارةُ التـــي آذَنَتْ بأنَّ السَّـــلامَ المِصْريَّ\الإسْـــرائيليَّ وَشـــيكٌ، اسْـــتَدْعَتْ مِنْ مُنَظَّمَةِ التَّحْريرِ الفِلَسْـــطينيَّةِ التَّذْكيـــرَ بِمَحَلِّها مِـــنْ أيّ حَلٍّ سِـــلْميّ، كما انْتَفَـــت مَعَها الأسْـــبابُ السّـــوريَّةُ للتَّضْييقِ على السِّـــلاحِ الفِلَسْـــطينيّ في لبنان. وعلى مـــا يَذهَبُ هانـــف نفسُـــهُ، انْتَفَـــتْ مَعَها، أيضًا، الأسْبابُ السّـــوريَّةُ للتَّحَفُّظِ علىَ انْدِلاعِ حَـــرْبٍ في جنـــوبِ لبنان.

(٦) هانف، ذُكِرَ سابِقًا، ص. ٢٢٩.

والحـــالُ أنَّ هذه الحَـــرْبَ لَـــمْ تَتَأخَّر. فعلى إثْـــرِ عمليَّةٍ عســـكريَّةٍ ذُيِّلتْ بِتَوقيـــعِ حَرَكَةِ فتـــح كانَ شَـــنُّها فـــي ١١ آذار ١٩٧٨، رَدَّتْ إســـرائيلُ بـ«عمليَّة الليطاني» التي بَدَأ مَعَها احْتِلالٌ إسْـــرائيليٌّ لأراضٍ لبنانيَّةٍ لَـــمْ يَنْتَهِ إلّا عـــامَ ٢٠٠٠ ــ (بَلْ لَـــمْ يَنْتَهِ حتّـــى اليَوْم مَعَ بَقاءِ مَـــزارعِ شـــبعا، بِمُوجِبِ القـــرارِ ١٧٠١

الــذي اخْتُتِمَتْ بِــهِ حــربُ ٢٠٠٦، مِنْطِقَةً لَقيطًا تَنْتَظــرُ بَتَّ جِنْسِــيَّتِها ومِلْكِيَّتِها؛ وفي انْتِظارِ أنْ يكــونَ ذَلِكَ، أوْ ألّا يكــونَ، تَبْقَى، حتّى إشْــعارٍ آخَــرَ، مُقَسَّــمَ بَريدٍ سَــريعٍ يَتَراسَــلُ مِنْ خِلالِــهِ، كُلَّما دعــتِ الحاجَةُ، ووَفقَ قواعِــدَ باتَتْ فــي حُكْــمِ المُقَعَّدةِ، اللاعِبــونَ على طَرَفَــي الحُدود).

بالطَّبْعِ، لَمْ تَنْتَــهِ حَرْبُ السَّــنَتَيْنِ مَعَ قِمَّتَيْ الرِّيــاضِ والقاهِــرة، ومَــعَ تَشْــريعِ الوجودِ العَسْــكريِّ السّوريِّ على مِســاحةٍ واسِعَةٍ مِنَ الأراضــي اللبنانيَّةِ، بَلْ يُمْكِــنُ القَوْلُ إنَّ هذهِ النِّهايَةَ «القَسْــرِيَّة» لَمْ تَلْبَثْ أنْ اسْــتَوْلَدَت حُروبَهــا[٧]. علــى أنَّــهُ فَلَيْــسَ مــا تَقَدَّمَ بِسَــبَبٍ كافٍ لِلْحَــطِّ مِنْ قَدْرِ هــذه النِّهايَةِ باعتبارَيْــنِ على الأقــلّ: أوَّلٍ، أنَّ هذهِ النِّهايَةَ، رُغْــمَ جُزْئِيَّتِها، وَرُغْــم كُلِّ عُيُوبِهــا، عُيُوبِها المَكْتوبَــةِ في أصْلِهــا وفَصْلِها، ومــا تَخَلَّلَها مِنْ مُعَكِّــراتٍ، دامَتْ عَمَليًّــا حتّى الاجتياحِ الإسْــرائيليِّ، (١٩٨٢)، وهــوَ ما يَجْعَــلُ مِنْها نِهايَــةً مَديدةً بِلِحــاظِ ما عُمِّــرَهُ اتِّفاقُ ١٧ أيّار والاتِّفــاقُ الثُّلاثــيُّ[٨]، أمّــا الثّاني، فأنَّ

(٧) يرى ستيفان والت، في مَعْرِضِ حَديثِهِ عن نِهايَةِ حَرْبِ السَّنَتَيْن، أنَّ للدّالَّةِ الماليَّةِ لِلْمَمْلَكَةِ العَرَبيَّةِ السُّعوديَّةِ على كُلٍّ مِنْ سوريا ومِصْرَ يَدًا في إنْجازِ هذه التَّسْوِيَةِ، كما يُلاحِظُ أنَّ مُوافَقَةَ مِصْرَ على إطْلاقِ يَدِ سوريا في لبنانَ واكَبَها تَخْفيضٌ في حِدَّةِ المواقِفِ السّوريَّة من العَمَليَّةِ السِّلْمِيَّة.

Stephen M. Walt, *The Origins of Alliance*, Cornell University Press, p. 133-134.

(٨) وهذا ما يُلاحِظُهُ ديفيد هيرست حَيْثُ يَقولُ إنَّ نهايةَ حَرْبِ السَّنَتَيْن «دامَت أَطْوَلَ مِنَ العادة»؛ مرجع ذكر سابقاً، ص. ١١٤.

الوَثيقَـــةَ الدُّسْـــتورِيَّةَ، ولو انَّها لَـــمْ تَنْزِلْ مِنْ هذهِ النِّهايَـــةِ مَنْزِلَـــةَ الاتِّفاقِ، فَلَقَـــدْ نَزَلَتْ مِـــنْ كُلِّ المُحـــاوَلاتِ التّالِيَةِ لِصياغَـــةِ اتِّفاقٍ بينَ اللبنانيّينَ مَنْزِلَةَ المُسَـــوَّدَةِ، وما يَسْـــري علـــى الاتِّفاقاتِ الفاشِـــلَةِ يَسْـــرِي أيْضًا على الاتِّفاقِ الناجِـــح بامتياز: اتِّفـــاقِ الطّائف.

فَعَلَـى مـا يُلاحِظُ عَدَدٌ مِمَّنِ انْكبّوا على دِراسـةِ هـذا الاتِّفـاقِ، لا يَتَجَنّـى المَـرْءُ عَلَيْـهِ إنْ يَصْفَهُ بِـ«المُسْـتَعمِلِ»، علـى المَعْنـى العامِّـيِّ لهـذهِ الصِّفَـةِ، مِنْ حَيْثُ إنَّهُ يَسْتَنْسِـخ فـي الكَثيرِ مِنْ عَناوينِـهِ العَريضَـةِ، مَـع مـا يَقْتَضيـهِ الأمْـرُ مِـنْ تَنْقيـحٍ، العَديدَ مِـنَ النُّصوصِ ومِـنَ الاقْتِراحاتِ السّـابِقَةِ عَلَيْـهِ التـي يَعـودُ العَهْـدُ بِبَعْضِهـا إلى بِدايـاتِ الحَـرْبِ، كمـا يعـودُ العَهْـدُ بِبَعْضِهـا الآخَـرِ إلـى أمْـسِ الطّائـفِ القريـبِ ومـا آلـتْ إليـهِ موازيـنُ القِـوى علـى نهاياتِهـا. وإنْ شـاءَ المَـرْءُ أنْ يُوجِـزَ هـذا الاسْـتيحاءَ بِعِبـارَةٍ وَجيزَةٍ فَلَعَلَّـهُ يَقـولُ إنَّ الطّائِـفَ اسْـتَعارَ مِـنَ الوَثيقَـةِ الدُّسْـتوريَّةِ بَنْـدَ المُسـاواةِ بيـنَ المُسـلمينَ والمسـيحيّينَ («الإصلاحـات»)، واسْـتَعارَ مِـنَ الاتِّفـاقِ الثُّلاثِـيِّ العَلاقـاتِ المُمَيَّزَةَ معَ سـوريا،

ومبـدأ إلْغـاءِ الطّائفيَّـةِ السِّياسِـيَّة. ومِمّـا يُذَكِّـرُ بـهِ بريسـتون فـي هـذا الشَّـأنِ، ويَسْـتَحِقُّ أنْ يُذَكَّـرَ بـهِ، أنَّ وَزيـرَي الخارِجِيَّـةِ اللبنانـيَّ والسّـوريَّ إيلـي سـالم وفـاروق الشـرع أعَـدّا فـي عـامِ ١٩٨٧ مُسَـوَّدَةَ اتِّفـاقٍ على قَـدْرٍ كَبيرٍ مِـنَ الشَّـبَهِ باتِّفـاقِ الطّائِفِ، حـالَ دونَ مُتابَعَةِ البَحْـثِ فيـهِ الاخْتِلافُ علـى تَعْيينِ إطـارٍ زَمَنيٍّ لإلْغـاءِ الطّائفيَّـةِ السياسـيَّة[٩].

٩) بريستون، ذُكِرَ سابِقًا، ص. ٣٥.

وإذْ يَخْلُـصُ بريسـتون نَفْسُـهُ فـي عِـدادِ خُلاصاتِـهِ إلـى أنَّ أوْجُـهَ الشَّـبَهِ بيـنَ كُلِّ المُسَـوَّداتِ السّـابِقَةِ علـى الطّائِـفِ هـي جُزْءٌ مِـنَ «المَسـارِ» الـذي أفْضـى بالمُفاوضيـنَ، باسْـمِ كُلِّ طَـرَفٍ، إلـى وقـوفِ كُلِّ فريـقٍ مِنْهُـمْ علـى الحَـدِّ الأدْنَـى مِـنْ مَطالِـبِ الفَريـقِ الآخـرِ، فهـوَ يَخْلُـصُ أيْضًـا، وهـوَ الأهـمُّ، إلـى أنَّ القَليـلَ القَليـلَ مِـنَ الفَضْـلِ لَيْـسَ إلّا يُمْكِـنُ أنْ يُنْسَـبَ إلـى اتِّفـاقِ الطّائِـفِ مِـنْ حَيْـثُ مَضْمونُـهُ، أيْ مِـنْ حَيْـثُ هُـوَ نَـصٌّ، فـي إنْهـاءِ الحَـرْبِ وإحْـلالِ السَّـلامِ الـذي أحَلَّـهُ، وهـذا مـا يُسْـلِمُنا مُجَـدَّدًا إلـى السُّـؤالِ عَـنْ طَبيعَـةِ «السَّـلامِ» اللبنانـيِّ ــ

بَـلْ إلـى السُّـؤالِ عَـنْ تَرْكيبَـةِ هـذا «السَّـلام» بالمعنــى الكيميائِــيِّ لِلْكَلِمَــة.

علـى مـا تَقَدَّم، لَمْ يَتَكاسَـل اللبنانيونَ، لا سِـيَّما خِـلالَ السَّـنَواتِ التـي سَـبَقَتِ انـدلاعَ الحَـرْبِ وتَلَتْهـا فـي إنْتـاجِ الأوْراقِ التي تُشَـخِّصُ أحوالَ لبنـانَ، والبرامِـجِ التي تَقْتَرِحُ مَخـارِجَ مِنْ دَوّامَةِ العُنـفِ، والأفـكارِ التي تَتَطَلَّـعُ إلى المُسْـتَقْبلِ، بَـلْ لَقَـدْ يُكبِرُ المَـرْءُ الجُهْدَ المَبْـذولَ في إنْتاجِ تِلْـكَ الأدَبِيّـاتِ ويُدْهَـشُ مِـنْ غَزارتِهـا، ولكـنَّ هـذا الإكْبـارَ وتَلـكَ الدَّهْشَـةَ مـا يَلْبَثـانِ أنْ يَنْقَلِبـا إلـى شـيءٍ أدْنـى إلـى الخَيْبَـةِ متَـى مـا زِينَـت الاتِّفاقـاتُ التي كُتِبَ علـى اللبنانيّيْنَ أنْ يَتَّفِقوهـا فـي ميـزانِ تِلْـكَ الأدَبِيّات.

ومِـــنْ أقْرَبِ الأدِلَّـــةِ على ذَلِكَ ما شَـــجَرَ بينَ اللبنانيِّيـــنَ، مِنْ يَـــوْمِ أن اصْطَنَعـــوا الوَثيقَةَ التـــي انْتَهَـــوا إلَيْهـــا فـــي الطّائِـــفِ، وثيقةَ الوِفـــاقِ الوَطَنِـــيِّ، دُسْـــتورًا جديـــدًا للبلادِ، ما شَـــجَرَ بَيْنَهم مِـــنْ خِلافاتٍ على تَفْســـيرِ هـــذا النَّـــصِّ أوْ ذاكَ مِـــنْ الدُّسْـــتورِ، أوْ مِنْ خِلافاتٍ في اسْـــتِحْضارِ روحِ النَّصِّ ومقاصِدِهِ غيـــرِ المُدَوَّنَةِ، حتّـــى لَيُزَيَّنَ لِلمـــرءِ، متى ما

اسْـــتَعْرَضَ تِلْكَ الخِلافاتِ، ومتى ما اسْـــتَعْرَضَ المُلابَســـاتِ التي أحاطتْ بِـــكُلٍّ مِنْها، ومتى ما اسْـــتَعْرَضَ كَيْفَ كانَ أن ارْتَفَـــعَ هذا مِنْها أوْ ذاكَ، ــ حتّـــى لَيُزَيَّنَ لَـــهُ أنَّ النَّصَّ، مِنْ أوَّلِ أمْـــرِهِ، أي مِنْ أوَّلِ وَضْعِـــه، لا يُقَدِّمُ ولا يُؤَخِّرُ، وأنَّ الاتِّفـــاقَ عَلَيْـــهِ، مِنْ حَيْثُ هُـــوَ نَصٌّ، أو الاخْتِلافَ فيه، سِـــيّان...

ولَعَـــلَّ المَـــرْءَ ألّا يَحْتـــاجَ إلـــى كُلِّ هـــذه التَّفاصيل؛ حَسْـــبُهُ لَرُبَّمـــا أنْ يَتَفَقَّـــدَ بَعْضَ ما قالَـــهُ وكَتَبَهُ بَعْـــضُ «آبـــاءِ» الطّائِفِ فيهِ لِيَتَحَقَّـــقَ أنَّ وَقْـــفَ العُنْفِ شَـــيْءٌ، والاتِّفاقَ على اتِّفـــاقٍ شَـــيْءٌ، وتطبيقَ هـــذا الاتِّفاقِ شَـــيْءٌ ثالثٌ...[10] بَلْ لا حاجَةَ بِهِ إلى شَـــيْءٍ مـــن هـــذا، وحَسْـــبُهُ أنْ يتوقّفَ، مثـــلًا، ولو وِقْفَـــةُ عُجْلَـــى، عنـــدَ أحَدِ السِّـــجالاتِ التي رافَقَتْ تَأليفَ حُكومَةِ «اسْـــتِعادة الثِّقَة»[11]، ونَعْنـــي بِهِ السِّـــجالَ فـــي «حَـــقِّ» الطّائِفَةِ الشّـــيعيَّةِ المُكْتَسَـــبِ بِـــوِزارَةِ الماليَّةِ على معنـــى اسْـــتِثْنائِها مِـــنْ حَيْثُ هِـــيَ حقيبةٌ معدودةٌ فـــي «الحقائـــبِ السِـــيادِيَّةِ» مِنْ مَبْـــدأ المُـــداوَرَةِ الطّائفيَّةِ.

(١٠) من أظْرَفِ الشَّهاداتِ في الطّائِفِ، الشَّهادَةُ التي قَصَّلَها النّائِبُ إدمون رزق في مُؤْتَمَرٍ صَحَفِيّ عَقَدَهُ في السّابع من حزيران ١٩٩٦.

بَعْدَ أنْ عَرَضَ رزق ما يَسودُ البَلَدَ مُنْذَ الطّائِف من «حُكْم المَحاصَّة» وما كان من «إجْهاضٍ للإصْلاحاتِ السِّياسِيَّة» ومن «تَخْريبٍ للإدارَةِ وتَعْطيلٍ لأجْهِزَةِ الرِّقابَة»، يَخْلَصُ إلى أنَّ: «الإمْعانَ في نَقْضِ وَثيقَةِ الوِفاقِ الوَطَنِيّ، نَصًّا وروحًا، يُحَتِّمُ على الذين يَتَوَلَّوْن السُّلُطاتِ الصّوريَّةَ حدًّا أدْنى مِنْ شَرَفِ المَسْؤوليَّة، وهو المُبادَرَةُ إلى إحالَةِ مَشْروعِ قانونٍ إلى المَجْلِسَ النِّيابي، بإلغاءِ الوَثيقةِ التي اكْتَسَبَت قُوَّةَ القانونِ لدى التَّصويتِ عَلَيْها في القليعات بتاريخ ٥ تشرين الثّاني ١٩٨٩، وإنْ لَمْ تَفْعَل الحُكومَةُ ذلك، فَيَقَعُ على عاتِقِ النُّوّابِ أنْ يأخذوا المُبادَرَةَ إلى تَقْديمِ اقْتِراحِ قانونٍ بالمعنى نَفْسِهِ، فَيُسْحَبُ "قَميص الطّائِف" من التَّداوُلِ نِهائيًّا، ويَتَصَرَّفُ الأفْرِقاءُ اللبنانيّون على هذا الأساس، دونَ تَمْويهٍ أو الْتِباس».
سبع سنوات على الطائف، بيروت، ٧ حزيران ١٩٩٦، ص. ٢٧.

(١١) هو الاسْمُ الذي أُطْلِقَ على الحُكومَةِ التي عُهِدَ بِتَأليفِها إلى سعد الدين رفيق الحريري غَداةَ انتخاب العِماد ميشال عون رئيسًا للجُمْهورِيَّة.

فبِمُناسَـــبَةِ هذا السِّجالِ، اكْتَشَـــفَ اللبنانيُّونَ على لِســـانِ صَحافيٍّ مُخَضْرَم، و«رَصينٍ» على ما وَصَفَهُ زَميـــلٌ لهُ لا يَتَدَنّى عَنْهُ ســـابِقَةً[١٢] ـ نَقْـــلًا عَـــنْ رَئيـــسِ مَجْلِسِ نوّابٍ ســـابقٍ، وأحَـــدِ عرّابـــي اتِّفـــاقِ الطّائِـــفِ اللبنانيّينَ ـ إكْتَشَـــفَ اللبنانيّونَ أنَّ لِـ«وَثيقَـــةِ الوِفاقِ الوَطَنِـــيِّ»، (إتِّفاقِ الطائفِ)، التـــي اصْطَنَعَها مَجْلِسٌ نيابِيٌّ مَشْـــكوكٌ في تَمْثيلِيَّتِه دُسْـــتورًا جديدًا لِلُبنـــانَ «مَلاحِقَ سِـــرّيَّةً» أوْ ما يُعادِلُ المَلاحِـــقَ، وأنَّ أحَدَ هـــذهِ المَلاحِـــقِ يَنُصُّ علـــى أنْ تَـــؤُوْلَ وِزارةُ المالِ إلى «الشّـــيعَةِ» بِمـــا يُؤَكِّدُ مَحَلَّهُمْ كشُـــركاءَ كامِلي الشَّـــراكَةِ في السُّـــلْطَةِ التَّنْفيذِيَّة[١٣]!

(١٢) أمّا المُخَضْرَمُ فنقولا ناصيف، وأمّا صاحِبُ السّابِقَةِ فسركيس نعوم في مَقَالَتِهِ «هَلْ يَكْشِفُ إفْصاحُ الحُسيني النِّيّاتِ المُضْمَرَة؟»؛ **النَّهار**، ٢١ تشرين الثاني ٢٠١٦.

(١٣) في مُقابَلَةٍ مُتَلْفَزَةٍ على قناة «أم تي في» (برنامج «بيروت اليوم»، ١٩ كانون الثاني ٢٠١٦)، قال نقولا ناصيف إنَّهُ سَمِعَ مِنْ رَئيسِ مَجْلِسِ النُّوّابِ السّابِقِ حسين الحسيني ما مَفادُهُ أنَّ النُّوّابَ اللبنانيّين المُجْتَمِعين في الطّائِفِ اتَّفَقوا على ثلاثَةِ أمور دُوِّنَتْ في مَحاضِرِ الجَلْساتِ وإنْ لم يُنَصَّ عَلَيْها في مَتْنِ الاتِّفاق: (١) ألّا تُوكَلَ إلى رَئيسِ الحُكومَةِ حَقيبةٌ وِزاريّة، (٢) ألّا يَتَدَنّى عَدَدُ الوُزراءِ في أيِّ حُكومَةٍ عن الأرْبَعَةَ عَشْرَ لِضَمانِ التَّمْثيلِ الأرْمَني، (٣) أنْ تكونَ وِزارةُ الماليَّة مِنْ حِصَّة الشّيعَة...

صفحة بيضاء في الأصل

VI

رُبَّ قائِلٍ إنَّ حَرْبًا طَوِيلَةً عَرِيضَةً مِنْ قَبِيلِ «الحَرْبِ الأهْلِيَّةِ» التي شَهِدَها لُبنانُ بَيْنَ ١٩٧٥ و١٩٩٠ كانَ انْدِلاعُها في عَصْرِ الحَرْبِ البارِدَةِ وكانَتْ نِهايَتُها معَ سُقوطِ جِدارِ برلين ــ رُبَّ قائِلٍ إنَّ حَرْبًا مِنْ هذا القَبِيلِ ما كانَ لها أنْ تَنْتَهِيَ باتِّفاقٍ أفْضَلَ مِنْ اتِّفاقِ الطّائِف، أوْ أبْيَنَ مِنْهُ في نُصوصِهِ وفي مقاصِدِه.

لَقَدْ يَكونُ ذَلِكَ، ولَقَدْ يَصِحُّ أنْ تُتَمَحَّلَ الأعْذارُ المُخَفِّفَةُ لاتِّفاقٍ هذا شأنُهُ، ولكنَّ أقلَّ الأقلِّ على مَنْ يَأْخُذُ بهذا المَذْهَبِ مِنَ الرّأيِ، ومِنَ «الواقِعِيَّةِ السِّياسِيَّةِ»، ألّا يُفاجَأَ بأنْ يبقى التَّوَسُّلُ بالعُنْفِ خِيارًا مِنْ جُمْلَةِ الخِياراتِ التي

يُمْكِنُ اللبنانيّينَ، أوْ بَعْضَ اللبنانيّينَ، أنْ يَتَوَسَّلُوا بِها كُلَّما ضاقَتْ عَلَيْهِمْ سُبُلُ التَّفاهُمِ بالتي هِيَ أحْسَن.

ولَعَلَّ المِثالَ البَليغَ على اسْتِدامةِ العُنْفِ خِيارًا مِنْ جُمْلَةِ الخِياراتِ ما كان في أيّار ٢٠٠٨. فَجَرْيًا على مَنْطَقِ «الواقِعِيَّةِ السِّياسِيَّةِ»، ومُتابَعَةً له، لا تَبْريرًا لِما كان، لا بُدَّ مِنَ التَّسْليمِ بأنَّ إقْدامَ فريقٍ مِنَ اللبنانِيّينَ على التَّوَسُّلِ بالعُنْفِ، بِمِقدارٍ مُعَيَّنٍ، هُوَ ما اسْتَعْجَلَ أطْرافًا إقْليمِيَّةً ودوليَّةً مَعْنِيَّةً بالشَّأنِ اللبنانيِّ إلى التَّدَخُّلِ بَيْنَ اللبنانيّينَ، وإلى الدَّعْوَةِ إلى مُؤْتَمَرٍ في الدَّوْحَة (قَطَر) انْتَهى بإعلانِ اتِّفاقٍ (جديدٍ) ضَمِنَ لِسَنواتٍ، ولَوْ قليلةٌ، شَيْئًا مِنَ الاسْتِقْرارِ السِّياسيّ[1].

ولأنَّ الشَّيءَ بالشَّيءِ يُذْكَرُ لا بأسَ مِنْ الإشارةِ إلى أنَّ اتِّفاقَ الدَّوْحَة الذي تَضَمَّنَ خَمْسَةَ بنودٍ، أوْسَعُها البَنْدُ الثّالثُ المُتَعَلِّقُ بِعَدَدٍ مِنَ التَّفاصيلِ ذاتِ الصِّلَةِ بالقانونِ الذي جَرَتْ بِمُوجِبِهِ انْتِخاباتُ ٢٠٠٩ وبتقسيمِ الدَّوائِرِ في عَدَدٍ مِنَ المَناطِقِ،

(١) للوقوفِ على سيرةِ مُؤْتَمَرِ الدَّوْحَة، أنظر: عبد الوهّاب بدرخان، «هُدْنة بمثابة مصالحة» في **اتِّفاق الدَّوْحة ـ بناءُ ثقافة المواثيق في لبنانَ مِنْ أجل مواطنيَّة فاعِلَة**، المكتبة الشرقية، بيروت، ص. ١٣٧ وما بعدها.

أرْجَــأَ الكَلامَ علــى «تَعَهُّدِ الأطْــرافِ الامْتِناعَ عَــنْ، أو العَوْدَةَ إلى اسْــتِخْدامِ السِّــلاحِ أوِ العُنْــفِ بِهَدَفِ تَحْقيقِ مَكاسِــبَ سِياســيَّةٍ» إلــى المَحَــلِّ الرّابعِ في مــا يُشْــبِهُ الإقْرارَ بالطَّبيعَــةِ البَلاغيَّةِ لهــذا التَّعَهُّــدِ وبِمَحَلِّهِ الثّانــويِّ، وفــي مــا يُشْــبِهُ التَّسْــليمَ بأنَّ التَّوَسُّــلَ بالعُنْفِ، بَيْنَ الحينِ والآخَرِ، شَــيْءٌ مِــنْ قَبيلِ القَضــاءِ الــذي لا رادَّ لَه.

فــي المَبْــدأِ العــامِّ، لا وَجْــهَ شَبَــهٍ بَيْنَ «اسْــتِخْدامِ السِّــلاحِ أوِ العُنْفِ بِهَدَفِ تَحْقيقِ مَكاسِبَ سِياسِيَّةٍ» وبين اسْــتِخْدامِ أيِّ طَريقٍ مِنْ طُــرُقِ الحِــوارِ والتَّفاوضِ بُغيَــةَ إيجادِ حَلٍّ لأزْمَةٍ سِياســيَّةٍ أوِ التَّوَصُّلِ إلى تَسْــوِيَةٍ لأَزْمَةٍ كهذه. هــو كذَلِكَ ولكنْ لا بــأسَ، ولَوْ مِنْ بــابِ الفُضُــوْلِ العِلْميّ، مِــنَ المُحاوَلَة.

فــي الثّالِثِ مِــنْ آذار ٢٠٠٦، بَعْــدَ نَحْوِ ١٨ شــهرًا على صُدورِ القَرارِ الأُمَمِــيِّ ١٥٥٩، بَعْدَ عامٍ ونَيِّــفٍ على اغتيــالِ رفيــق الحريري، بَعْدَ أقَــلِّ مِنْ عامٍ واحدٍ علــى أوَّلِ انْتِخاباتٍ نيابيّــةٍ خــارجَ قَيْــدِ «الوِصايَــة»[٢]، انْعَقَدَ تَحْتَ قُــبَّةِ البَرْلمــانِ اللبنانيِّ لِقــاءٌ «جَمَعَ

(٢) رَغْمَ الاخْتِلافِ في تَشْخيصِ مَراحِلِ التَّدَخُّلِ السّوريِّ في لبنانَ، غَلَبَت الإحالَةُ إلى هذا التَّدَخُّلِ بـ «الوجود» دَفْعًا للتَّسْوِيَةِ بَيْنَهُ وبَيْنَ «الاحْتِلالِ الإسرائيلي». ولعلَّ الصَّفْحَةَ الأولى من عَدَدِ **النَّهار** الصّادِرِ في ٢٥ نيسان ٢٠٠٥ تُعَبِّرُ أصْدَقَ تَعبيرٍ عن الْتِباسِ هذه الإحالة. ففي حين يُطالِعُ عَدَدُ **النَّهار** ذاكَ قُرّاءَهُ بعُنْوانٍ عَريضٍ نَصُّه: «السّاعاتُ المُقْبِلةُ تُنْهي ٣٠ سنة من الوجود السوري»، يُعَنْوِنُ غسان تويني افتتاحيته بـ «في اليوم الأوَّل مِنَ "الجلاء"». مُتابَعَةً للحَرَجِ مِنَ التَّسْوِيَةِ بين إسرائيلَ وسوريا، لم يَكُن بالأمْرِ اليَسيرِ على اللبنانيّينَ أنْ يَصِفوا سَنَواتِ «المَرْحَلَة السّوريَّة» مِنْ حياةِ بَلَدِهِم التي امْتَدَّت من اتّفاقِ الطّائف إلى انْسِحابِ نيسان ٢٠٠٥. وإذ يَصْطَلِحونَ، اليَوْمَ، على تَسْمِيَةِ هذه السَّنواتِ بـ «عَهْد الوِصاية»، فالأرْجَحُ أنَّهُم يَدينونَ بِهذا الاجْتِهادِ اللُّغَوِي الذي يُبَرِّئُهُم مِنَ المَسْؤوليَّةِ عَمّا شَهِدَتْهُ تلكَ السَّنَواتُ إلى وليد جنبلاط الذي كان البادِئَ باسْتِعْمالِهِ خِلالَ مُقابلة مُتَلْفَزَةٍ على نِهاياتِ نيسان ٢٠٠٥؛ (**النَّهار**، ٢٧ نيسان ٢٠٠٥).

١٤ شَـخْصِيَّةً لبنانيَّـةً فـي صـورةٍ واحِدَةٍ وحَـولَ طاوِلَةٍ حِواريَّـةٍ واحِـدَةٍ»، وقدْ جاءَ هذا اللقـاءُ لِيُكَلِّـلَ «مُبادرةً سِياسِـيَّةً» قامَ بِهـا رَئيسُ مَجْلِـسِ النُّوابِ، هِـيَ، على حدِّ وَصْفِ جريدةِ **السَّـفيرِ**، «الأُولـى في نَوعِها في تاريـخِ لبنانَ الحَديثِ»[٣]. بِصَـرْفِ النَّظَرِ عَنْ صِحَّةِ هـذا الوَصْفِ الـذي يَفْتَرِضُ أصلًا تَعْريفًـا دقيقًـا لِلْمُـرادِ مِنْ «تاريـخِ لبنانَ الحَديـثِ»، لا شَـكَّ فـي أنَّ انْعِقـادَ هذهِ الطّاوِلَـةِ أمْرٌ جَلَـلٌ بِالميـزانِ اللبنانيِّ، وهُوَ لَيْـسَ كذَلِـكَ لأنَّ «صورةً واحـدةً» جَمَعَتْ فُلانًا وفُلانًا مِـنْ أعْيانِ لبنانَ بِمـا يُؤَكِّدُ قَوْلَ المَجْنونِ ـ مَجْنـونِ لَيلى:

وَقَـدْ يَجمَعُ اللَّهُ الشَّـتيتَيْنِ بَعْدَما
يَظُنّـانِ كُلَّ الظَّـنِّ أنْ لا تَلاقِيـا

بَـلْ لأنَّ المُـؤدّى مِـنَ مُجَـرَّدِ انْعِقـادِ لقـاءٍ فَـذٍّ مِـنَ هـذا القَبيـلِ، لا نَـصَّ دُسْـتوريًّا يَلْحَـظُ انْعِقـادَهُ ولا عُـرْفَ، هُـوَ أنَّ الأُطُـرَ التـي يُفْتَرَضُ أنْ يَنْتَظِـمَ تَدْبيـرُ اللبنانيّيـنَ لِحَياتِهِـم الوَطَنِيَّـةِ ضِمْنَهـا باتَـتْ تَضيْـقُ علـى مـا أُنشِـئَتْ مِـنْ أجْلِـهِ، أوْ باتَـتْ لا تَصْلُـحُ لذَلِـكَ، أوْ أنَّ حَراجَـةَ المَوْقِـفِ لا تَحْتَمِـلُ النُّـزولَ عِنْـدَ القَواعِـدِ التي

(٣) **السّفير**، ٣ آذار ٢٠٠٦.

تَرْعَى عَمَلَ تِلْكَ الأُطُرِ، أوْ ما شاكَلَ، مِمّا لا يَبْقى مَعَهُ، عَياءَ حيلةٍ، سِوى اللُّجوءِ إلى تَدْبيرٍ اسْتِثْنائيّ!

وإذا كانَ التَّوَسُّلُ بالعُنْفِ، عمومًا، خُرُوْجًا على القاعِدَةِ ـ على القاعِدَةِ التي تُريدُ أنْ يَتَدَبَّرَ النّاسُ، واللبنانيّونَ مِنْهُمْ، أُمُوْرَهُمْ بالحُسْنى ـ فالتَّوَسُّلُ بأشْكالٍ مِنَ الحِوارِ اسْتثنائيَّةٍ لا يَتَدَنّى خُروجًا على تلكَ القاعِدَةِ ولَوْ انَّ المُرادَ مِنْ هذا الخُروجِ، (التَّوَسُّلُ بأشْكالٍ مِنَ الحِوارِ اسْتثنائيَّةٍ)، هوَ دَرءُ ذَلِكَ الخُروجِ (التَّوَسُّلِ بالعُنْف). بهذا المَعْنى يُمْكِنُ الحَديثُ، في الحالةِ اللبنانيَّةِ، ولرُبَّما في حالات أخرى، عَنْ وَجْهِ شَبَهٍ بينَ التَّوسُّلِ بالعُنْفِ وما يُرادُ أنْ يَكونَ مِنْ مُضَادّاتِه.

وإنْ يَسْتَعْرِض المَرْءُ مَا دَرَجَتْهُ الأمورُ، مَثلًا، مِنْ يَوْمِ أن انْعَقَدَتْ تلكَ «الطّاوِلَةُ الحِوارِيَّةُ» فَصاعِدًا، يَتَبَيَّنْ، بالعَيْنِ المُجَرَّدَةِ، أنَّ المُداواةَ بالتي كانَتْ هِيَ الدّاءُ، مُداواةَ الاسْتِثْناءِ بالاسْتِثْناءِ، لَمْ تَلْبَثْ أن اسْتَدْعَت، عِنْدَما بَلَغَتْ مَداها، المَزيدَ مِنَ العُنْفِ

المَجازيِّ والحقيقـــيِّ، (الفَراغ الرئاســـيّ بَعْدَ انْقِضـــاءِ وِلايَـــةِ العماد إميل لحـــود، اعتصام المعارضـــةِ، أيّـــار ٢٠٠٨)، الـــذي اسْـــتَدْعَى لاحْتِواءِ مَفاعيـــلِهِ جُرْعَةً أكبَرَ مِنَ الاسْـــتِثْناءِ «الحِّـــواريِّ»، (مؤتمرِ الدَّوحة)، ويـــكادُ المَرْءُ أنْ يَقـــولَ: وهكذا دواليكَ حتّـــى يَوْمِنا هذا...

بَعْـدَ عامَيْـنِ ونِصْـفِ عـامٍ مِـنْ شُـغورٍ رِئاسِـيٍّ بَـدَأَ مَـعَ انْتِهـاءِ وِلايـةِ العِمادِ ميشـال سـليمان، رئيـسِ الجُمهوريَّـة الـذي انْتُخِـبَ بِمُوْجِـبِ البَنْـدِ الأوَّلِ مِـنْ بُنـودِ اتِّفـاقِ الدَّوْحَـة الآنِـفِ الذِّكْـرِ، وهـوَ انْتِخـابٌ تلـى بِـدَوْرِهِ شُـغورًا رِئاسِـيًّا بَـدَأَ فـي ٢٣ تِشْـرين الثّانـي ٢٠٠٧ مَـعَ انْتِهـاءِ وِلايَـةِ رَئيـسِ الجُمْهوريَّـةِ المُنْتَخَـبِ فـي ١٣ تشـرين الأوَّل ١٩٩٨، العِمـادِ إميـل لحـود، (وهـي ولايَـةٌ مُـدِّدَتْ لثَـلاثِ سـنواتٍ فـي ٣ أيلـول ٢٠٠٤)، ــ اجْتَمَـعَ مَجْلِـسُ النُّـوّابِ اللبنانـيُّ فـي ٣١ تِشـرينَ الأوَّلِ ٢٠١٦ وانْتَخَـبَ رَئيسًـا للجُمْهوريَّـةِ بِشَـخْصِ قائِـدٍ سـابِقٍ للجَيْـشِ هـوَ العِمـادُ ميشـال عـون.

صَحيـحٌ أنَّ الشُّـغورَ الـذي سَـبَقَ انتخـابَ العمـاد عـون إلـى السُّـدَّةِ الأولـى لَـمْ

يُتَرْجِمْ عَنْ نَفْسِهِ قَلاقِلَ خَطيرةً في إخْلالِها بـ «الاسْتِقْرارِ» الأمْنِيِّ في لبنانَ على غِرارِ ما كانَ عَشيّاتِ انتخابِ سَلَفِه، وأنَّ وَصْفَ «الأزْمَةِ السياسيَّةِ» لازَمَ هذا الشُّعورَ مِنَ الأوَّلِ إلى الآخِرِ، ولكنْ صَحيحٌ أيْضًا أنَّ هذا الانْتِخابَ جاءَ بَعْدَ تَصَدُّعِ طاولةِ حوارٍ مُجَدَّدَةٍ كان قد دعا إلى التِئامِ عَقْدِها رَئيسُ مَجْلِسِ النُّوّاب إيّاه تَدارُكًا على «انْتِفاضَةِ القُمامَة» التي شَهِدَها لبنانُ عام ٢٠١٥[٤]، وبعد هَوْشَةٍ وَصَلَ فيها التَّخاطُبُ السِّياسِيُّ بين اللبنانيّين إلى دَرَجاتٍ قُصْوى مِنَ العُنْفِ المَعطوفِ على التَّهديدِ بالوَيْلِ والثُّبورِ وعَظائِمِ الأمور[٥].

نَعَم، لم يُسافِرْ أعيانُ لبنانَ إلى الدَّوْحَة، أو إلى سِواها، في عامِ ٢٠١٦، ولكنَّ أقلَّ ما يُقالُ إنَّ «سِلْمِيَّةَ» هذهِ «الأزْمَةِ السِّياسِيَّةِ» لَمْ تَسْتَدْعِ لِتُحَلَّ قَدْرًا مِنَ التَّدَخُّلِ الإقْليميِّ\الدَّوْلِّي يَتَدَنّى عنِ القَدْرِ الذي احْتاجَهُ، مَثَلًا، تَطْبيعُ الوَضْعِ في ٢٠٠٨. بل لا مُبالَغَةَ في القَوْلِ بأنَّ «دَوْحَةً افْتِراضِيَّةً» هيَ ما يَسَّرَ

(٤) كانت الدَّعْوَةُ إلى طَاوِلَةِ الحِوارِ المُجَدَّدَةِ هذه في ٣١ آب ٢٠١٥، في مَعْرِضِ الخِطابِ الذي أَلْقاهُ رَئيسُ مَجْلِسِ النُّوابِ بِمُناسَبَةِ الذِّكْرى السّابِعَةَ والثَّلاثين على تَغْييبِ السَّيِّد موسى الصدر. انْعَقَدَت أولى جَلْساتِ هذه الطّاوِلَةِ في ٩ أيلول ٢٠١٥ وآخِرِ جَلْساتِها في ٥ أيلول ٢٠١٦ حَيْثُ قَرَّرَ مُديرُ الحِوار، رَئيسُ مجلس النُّوّاب، تَعْليقَه.

(٥) في ١٢ أيلول ٢٠١٦، بَعْدَ أيّامٍ على تَعْليقِ جَلْساتِ طاوِلَةِ الحِوار، وَقَفَ رَئيسُ التَّيّار الوَطَنِيّ الحُرّ، وَزيرُ الخارِجِيَّة، وصِهْرُ العِماد ميشال عون، خَطيبًا أمامَ جُمهورٍ عَوْنِيٍّ، ومِمّا قالَهُ: «يَقولونَ إنَّهُم سَمِعوا مِنّي كَلامًا خَطيرًا في الجَلْسَةِ الأخيرةِ للحِوار [...] أنا قُلْتُ هذا الكَلامَ الذي يَتَضَمَّنُ الحَقيقة [...] لم يَفْهَموا أنَّنا وَصَلْنا إلى الرَّمَقِ الأخير. وإنْ لَمْ يَحْصُل انْتِخابُ رِئاسةِ جُمْهوريَّة وانْتخاباتٌ جديدة يَعْني أنَّ بَلَدَنا مَحْكومٌ بالانْهياراتِ الاقْتِصاديَّةِ والماليَّةِ والسِّياسِيَّةِ وهذا يعني أنَّ قُدْرَتَنا على العَيْشِ مَعَ بَعْضِنا غَيْرُ مُتَوَفِّرَةٍ، وإلى هذا الحَدِّ القِصَّةُ كَبيرة»؛ أنظر نَصّ الخِطابِ على مَوْقِع الوكالة الوطنيّة للإعلام.
قَبْلَ أيّام على هذا الخِطاب، في ٧ أيلول، عَلَّقَتْ جريدةُ **الأخبار** على لُغَةِ باسيل خِلالَ جَلْسَةِ الحِوارِ الأخيرة فَكَتَبَت: «في المُقابِلِ، يَسْتَفِزُّ كلامُ باسيل أكْثَرَ مِنْ طَرَفٍ في فريقِ ٨ آذار، ويُكَرِّرُ بَعْضُهُم القَوْل إنَّ "كلامَ العَوْنيّين مُسْتعادٌ مِنَ الحَرْبِ الأهْلِيَّةِ"».

إنْهاءَ الشُّغورِ الرِّئاسِيِّ[٦]، على غِرارِ ما إنَّ «دوحَةً افتراضيَّةً» هيَ ما يَسَّرَ، قَبْلَ ذَلِكَ بأعْوامٍ، يَوْمَ بدا أنَّ الشّغورَ على الأبْوابِ، تَأليفَ حُكومَةِ «المَصْلَحَةِ الوطنيَّة»[٧].

لَمْ يَخْلُ الأمْرُ مِمَّنْ حاوَلَ أنْ يُدَلِّسَ على اللبنانيّين فَيَبيعَ مِنْهُمُ أنَّ «الشُّعورَ بالمَسْؤوليَّةِ الوَطَنِيَّةِ» وما يُعادِلُها مِنْ تَخاريفَ وسَفْساطاتٍ هُوَ ما أَنْزَلَ سَكينَتَهُ على أعْيانِ لبنانَ فَتَقَدَّمَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُمْ رَهْطَ نُوّابِهِ نَحْوَ البرلمان، فَكانَ أوَّلًا أنْ تَأَمَّنَ النِّصابُ الضَّروريُّ لانْعِقادِ جَلْسَةٍ هِيَ السّادِسَةُ والأرْبَعونَ مِنَ الجَلْساتِ التي دُعِيَ هَؤلاءِ النُّوّابِ إلَيْها لانْتِخابِ رَئيسٍ، ثُمَّ كانَ، بِشَيْءٍ مِنَ التَّنْغيصِ على المُرَشَّحِ الأوْفَرَ حَظًّا، وبِشَيْءٍ مِنَ الهَزْلِ، أن انْتَخَبوا رَئيسًا ومَلَؤوا الفَراغَ وقُضِيَ الأمْرُ.

بالطَّبْعِ، لَمْ يُصَدِّقِ اللبنانيونَ، أو أقَلَّهُ أكْثَرُهُم، أنَّ الرَّئيسَ الجَديدَ «صِناعَةٌ مَحَلِّيَّةٌ»، ولا هُمُ احْتاجوا أصْلًا إلى مَنْ يَهْمِسُ في آذانِهِم أنَّه لَيْسَ كَذَلِك.

(٦) في ٣١ تشرين الأوّل ٢٠١٦، يَوْمَ انْتِخابِ عون رَئيسًا، نَقَلَتْ جَريدَةُ **الأخبار** عن رئيسِ مَجْلِسِ النُّوّابِ قَوْلَهُ إنَّ «انتخاب عون تَسْوِيَةٌ أميركيَّةٌ\إيرانيَّة». مِنْ إذْاكَ اغْتَنَى الحَديثُ عن «اليَدِ الخارِجِيَّةِ» في إنْهاءِ الشُّغورِ الرّئاسِيِّ بانْتخابِ ميشال عون للرِّئاسَةِ، وفي تَشْكيلِ حُكومَةٍ جَديدةٍ بِرِئاسَةِ سعد الحريري، بِمَعْلوماتٍ وتَحْليلاتٍ كثيرة. مِنْ بابِ التَّأكيدِ على «اليَدِ الخارِجِيَّة» باعْتِبارِها تَحْصيلُ حاصِلٍ، مِنَ المُفيد الاسْتِماعُ إلى حِوارِ وليد شقير ووزيرِ الدّاخليَّةِ نهاد المشنوق، في إطار بَرْنامَج «أقلام تُحاوِر»؛ (إذاعة صوت لبنان (٩٣,٣)، ٧ كانون الثاني ٢٠١٧ والحَديثُ مُتَوَفِّرٌ على مَوْقِعِ الإذاعَةِ الإلكتروني). أمّا فَصْلُ المَقالِ فجاءَ على لِسانِ وزيرِ الخارِجِيَّةِ الإيرانيِّ الذي تَحَدَّثَ خلالَ مُشارَكَتِهِ في مؤتَمَرِ دافوس ٢٠١٧ عَنْ تَعاوُنٍ سُعوديٍّ\إيرانيٍّ أتاحَ إجْراءَ الانْتِخاباتِ الرِّئاسِيَّةِ؛ **النَّهار**، ١٩ كانون الثّاني ٢٠١٧.

(٧) حُكومَةُ «المَصْلَحَةِ الوطنيَّة» هي الحُكومَةُ التي كُلِّفَ تمّام سلام بتأليفها في ٦ نيسان ٢٠١٣. اقْتَضَت عمليَّةُ تأليفِ هذه الحُكومَةِ أحَدَ عَشَرَ شَهْرًا، فكانَ الإعْلانُ عَنْها في ١٥ شباط ٢٠١٤، وكان نَيْلُها الثِّقَةَ في ٢٠ آذار، قَبْلَ نَحْوِ شَهْرَيْنِ من انْتهاءِ وِلايَةِ رئيسِ الجُمْهورِيَّةِ السّابِقِ ميشال سليمان.

فَمِنْ علاماتِ السّـــاعَةِ اللبنانيَّةِ أنَّ «الحَرْبَ»، في هذا البَلَدِ، ســـواءٌ أتَسَـــمَّتْ بهذا الاسْمِ أم اسْـــتُعيرَ لها مِنْ بـــابِ التَّلْطيفِ اسْـــمُ الأزْمَةِ السِّياسِـــيَّة، باتَتْ في حِلٍّ مِـــنْ أنْ تَبْدَأ لِتَقَعَ فَتَمْضِـــيَ قُدُمًـــا، أوْ قُلْ باتتْ فـــي غِناءٍ مِنْ أنْ تَبْـــدَأَ على النَّحْـــوِ الذي تَحْفَـــظُ الذّاكِرَةُ اللبنانيَّةُ، الجَماعِيَّةُ أو الفَرْدِيَّـــة، صُوَرَهُ؛ ولأنَّهُ كذلـــكَ، ومِنْ قَبيـــلِ ما إنَّها في حِـــلٍّ مِنْ أنْ تَبْـــدأَ لِتَقَعَ، فـــإنَّ أوْزارَها، أَقَلُّهُ حتّى إشْـــعارٍ آخَـــرَ، باتَتْ لا تَقْتَضي الكَـــثيرَ مِـــنَ الخَيالِ، ولا مِـــنَ التَّدْبيـــرِ، ولا حتّى مِـــنَ التَّفاوُضِ، لِتُسْتَوْضَع...

يُتْبَع!

صفحة بيضاء في الأصل

صفحة بيضاء في الأصل

صفحة بيضاء في الأصل

مِنْ عَلاماتِ السّـاعَةِ اللبنانيَّـةِ أنَّ «الحَرْبَ»، فـي هـذا البَلَـدِ، سـواءٌ أتَسَـمَّتْ بهـذا الاسْـمِ أم اسْـتُعيرَ لهـا مِـنْ بـابِ التَّلْطيـفِ اسْـمُ الأزْمَـةِ السِّياسِـيَّة، باتَـت فـي حِـلٍّ مِـنْ أنْ تَبْـدَأ لِتَقَـعَ فَتَمْضِـيَ قُدُمًـا، أوْ قُـلْ باتـتْ فـي غِنـاءٍ مِـنْ أنْ تَبْـدَأَ علـى النَّحْـوِ الـذي تَحْفَـظُ الذّاكِـرَةُ اللبنانيَّـةُ، الجَماعِيَّـةُ أو الفَرْدِيَّـةُ، صُـوَرَهُ؛ ولأنَّـهُ كذلـكَ، ومِـنْ قَبيـلِ مـا إنَّها فـي حِـلٍّ مِـنْ أنْ تَبْـدأَ لِتَقَـعَ، فـإنَّ أوْزارَهـا، أَقَلُّـهُ حتّى إشْـعارٍ آخَـرَ، باتَـتْ لا تَقْتَضي الكَـثيرَ مِـنَ الخَيـالِ، ولا مِنَ التَّدْبيـرِ، ولا حتّى مِنَ التَّفـاوُضِ، لِتُسْـتَوْضَع...